

استخدام المصطلحات النحوية في الشعر

حسن خميس الملقح

أستاذ مساعد، قسم اللغة العربية
كلية الآداب، جامعة آل البيت، الأردن

الملخص

حضور المصطلحات النحوية في الشعر العربي بشكل ظاهرة لافتة، ولا سيما في العصور الإسلامية المتأخرة، لهذا تتبّع البحث هذه الظاهرة، وسعى إلى تحليلها بمنهج تاريخي نقدي تلتقي فيه ثلاثة علوم، هي: النحو، والنقد الأدبي، والبلاغة العربية؛ لتشكّل ثلاث إضاءات علمية في تبين الآثار الإيجابية والسلبية لهذه الظاهرة في الشعر العربي، بعد أن أصبحت تجربة تاريخية في استحضار المصطلحات النحوية إلى عالم الشعر بطرح إشكالية تشكيل الصورة الشعرية باستعمال المصطلح النحوي المُدرَك بالعقل لا بالحسّ على البلاغيين والنقاد تحليلًا وتقييمًا.

الصورة الشعرية إبداعٌ يمارسُ فيه الشاعر حريته في انتزاع ما يراه مناسباً من المدركات بالحسّ أو العقل ؛ لتشكيل لوحة شعرية تزيد المعنى وضوحاً وجمالاً ، فيضحي العملُ الشعري رسماً للمعاني والأفكار بالصور ؛ لأن من معايير المفاضلة بين الشعراء الصورة الشعرية انسجاماً مع الفكرة ، وإيضاحاً لها ، وسبقاً زمنياً في ابتكار الصورة ؛ لهذا يزداد تشكيل الصورة صعوبة مع تقدم الزمن ؛ إذ يكون الشعراء قد استهلكوا بعض الصور الجميلة اللافطة في عالمهم ، فيجد الشاعرُ الجديدُ نفسه أسيراً لصورة مطروقة ، أو باحثاً عن صورة جديدة تظهر فيها قدرته على الابتداع لا الاتباع ، وهذه الصورة الجديدة مغامرة في التجريب الفني ، تضع الشاعر في اختبار نقدي أمام النقاد المختصين والمثقفين المتذوقين ، وعامة المستمعين والقارئ .

ومن المغامرات الفنية التاريخية في الشعر العربي مغامرة استعمال مصطلحات العلوم في تشكيل الصورة الشعرية كمصطلحات التفسير ، والحديث ، والمنطق ، والفلك ، والعروض ، والنحو : بجناحيه : الإعراب والصرف ؛ ذلك أننا نقع على أشعار منذ القرن الثالث الهجري يصبح المصطلح النحوي فيها مفتاحاً لفهم فكرة الشاعر وتحليل صورته الشعرية ؛ فأبو تمام (ت231هـ / 846م) في وصفه للخمرة يجدها تُحسنُ اللعبَ بعقول شاربيها كما تحسن الأفعال تسلط على الأسماء والتلعب بها ، فيقول⁽¹⁾ :

خرقاء يلعبُ بالعقول حبابها كتلعبُ الأفعال بالأسماء

وهذا وعي منه على نظرية العامل في النحو العربي ، أفاد منه ابن برهان العكبري (ت456هـ / 1063م) فقال : القياس في الأسماء أن تكون معمولة معربة مصروفة غير عاملة ؛ فعملها استحسان . والقياس في الأفعال أن تكون عاملة مبنية ؛ فإعرابها استحسان . ثم تمثل بيت أبي تمام على سبيل التوضيح⁽²⁾ . فكأن تلاعب الخمر بالعقول يوازي تلاعب الأفعال بالأسماء رفعاً على الفاعلية ، أو نصباً على المفعولية ، أو جرّاً بوساطة حرف الجر⁽³⁾ فتغيرها من حال إلى حال⁽⁴⁾ .

وبعد خمسَ عشرة سنة من الودّ والوثام فارقَ الشَّوَاءُ الحلبيُّ (ت635هـ/ 1237م) حبيباً له ، فقال⁽⁵⁾ :

وكنّا خمسَ عشرةَ في التّثامِ على رغم الحسود بغير آفه
فقد أصبحت تنويناً وأضحى حبيبي لا تفارقه الإضافه

لأنّ التنوينَ والإضافة متنافيان فلا يجتمعان ، فإذا كان الشاعر كالتنوين وحيبه كالمضاف ؛ فالحكم النحويّ أنهما لا يجتمعان ، وهذا الحكم ينسحب على العلاقة الاجتماعية بينهما .

ووصفَ صفيّ الدين الحلّيّ (ت752هـ/ 1339م) خالَه ، فقال⁽⁶⁾ :

لجأتُ إلى ركنٍ شديدٍ لحربكم أشدّبه أزري وأعلي به نجمي
بأروع مبنيٍّ على الفتح كفه إذا بُنيتُ كفُّ اللّيم على الضمّ
فجعل الكرمَ بناءً على الفتح ، والبخلَ واللؤمَ بناءً على الضمّ .

إذن ، فقد وظّف بعض الشعراء المصطلح النحويّ توظيفاً فنياً غدا ظاهرة أدبية تستأهل البحث فيها بسطاً وتحليلاً وتقييماً ، فما حدود هذه الظاهرة؟ وما أسباب نشوئها وازدهارها ثم اضمحلالها؟ وما علاقتها بثقافة الشاعر؟ وما أبعادها الفنية الإيجابية والسلبيّة؟ وهل تمثل تحولاً في نظرية الشعر العربي من استعارة الشمس والقمر والبحر والمهاة والظبي وما إلى ذلك في رسم الصورة الشعرية إلى استعارة المصطلح النحوي ، أي : هل أصبح حضورُ المصطلح النحويّ يوازي حضور الشمس والقمر والمهاة وغيرها في البيئة الأدبية العربية حتى كتب ابنُ عَين (ت630هـ/ 1232م) وهو مريض إلى الملك المعظم عيسى :

انظرُ إليّ بعينٍ مولىٍّ لم يزل يُولي الندى وتلافٍ قبلَ تلافِي
أنا كالذي أحتاجُ ما يحتاجه فاغنمُ ثوابي والثناء الوافي

فلما قرأهما أتاه بنفسه ومع ثلاثمائة دينار ، وقال : هذه الصلة ، وأنا

العائد⁽⁷⁾؟

فالبحث إذ يسعى إلى فتح باب النقد العلمي القائم على تتبع حضور مصطلح علم ما - هو في بحثنا علم النحو - إنما يسعى إلى إقامة جسر بين النحو والشعر يتجاوز ضرورة خضوع الشاعر لقوانين النحو إلى استفادة الشاعر من هذه القوانين ومصطلحاتها في العبور إلى صورة شعرية جديدة لها تجلياتها في نظرية الشعر وعلم البيان وعلم البديع ، فقد يشكل المصطلح النحوي تطابقاً تاماً - إن فهم - مع الفكرة والموضوع ، فابن الوردي (ت749هـ / 1349م) يتشترط في الصديق أن يكون مستودع سرّ صديقه ، وإلا فليس صديقاً صدوقاً يستحق السؤال عن أحواله وتتبع أخباره ، فيقول⁽⁸⁾ :

إذا أخفى صديقك عنك سرّاً وأبهم حاله فسواه أوّلَى
فلا تجزم بالاستفهام عنه وهب أخباره أخبار لولا

فخبر المبتدأ بعد لولا الامتناعية محذوفٌ لا يُسأل عنه ، وهي قاعدة نحوية تتطابق وتصور ابن الوردي للصدّاقة .

وقد لمست بعض الدراسات الأدبية والنقدية ظاهرة حضور المصطلح النحوي في الشعر العربي عند الحديث عن ثقافة بعض الشعراء وتصنعهم⁽⁹⁾ ، واصطناعهم مصطلحات العلوم في الشعر⁽¹⁰⁾ ومنها النحو ، أو الإشارة إلى موقف بعض النقاد من هذه الظاهرة⁽¹¹⁾ إلا أن هذه الدراسات على أهميتها التاريخية والأدبية والنقدية لم تكن مَعْنِيَةً بهذه الظاهرة وحدها ؛ مما يجعل منها دراسات جزئية في العرض ، أو الاختصاص بشاعر معين⁽¹²⁾ ، أو بزمان محدّد بعصر من عصور الأدب العربي⁽¹³⁾ ، أو بيئة من بيئاته⁽¹⁴⁾ ، فالبحث إذ يفرغ لدراسة هذه الظاهرة وحدها عرضاً وتاريخاً وتحليلاً إنما يتهدّى بهذه الدراسات ، وينتقل في البحث من الجزئي إلى الكلي ، ومن الخاص إلى العام .

مُقاربات منهجية

في اختطاط منهج علمي لهذا البحث ينبغي المبادرة بالاحتراس من أمرين منهجين يحددان إطار البحث ، أولهما : ميز حضور المصطلح النحوي بمعناه

الاصطلاحي من حضوره بمعناه اللغوي . وثانيهما : اختيار نسق مرضي عنه من أنساق ترتيب أبواب النحو العربي .

ففي الأمر الأول يُنحّي البحث جانباً ورود مصطلحات النحو في الأشعار التي قيلت قبل اكتمال نضوج المصطلحات ؛ أي في الشعر الجاهلي ، وشعر عصور النبوة ، ثم عصر الخلفاء الراشدين ، ثم عصر الخلفاء الأمويين ، ثم العصر العباسي إلى حين ظهور كتاب سيبويه (ت 179هـ / 795م) مع التنبيه على قضية وجود المصطلح قبل زمن سيبويه ؛ لأن المصطلحات تتشكّل مع تشكّل العلوم ، لكن شيوع تداولها يحتاج إلى وقت لهذا لا نستطيع أن نجزم بورود مصطلح نحوي بمعناه الاصطلاحي قبل زمن سيبويه⁽¹⁵⁾ ، فكلمة (فاعل) في شعر عبيد بن الأبرص (ت 25 ق هـ / 600م)⁽¹⁶⁾ :

كَم فِيهِمْ مِنْ سَيِّدٍ أَيْدٍ ذِي نَفَحَاتٍ قَائِلٌ فَاعِلٌ

جاءت بمعنى القيام بفعل ما ، لا بمعنى إسناد فعل إلى اسم ، وعلى هذا المعنى يُحمَلُ قول الأعشى (ت 7هـ / 629م)⁽¹⁷⁾ :

تَرَكْتُهُمْ جَهْلًا وَكُنْتَ عَمِيدَهُمْ فَلَا يَلُغْنِي عَنْكَ مَا أَنْتَ فَاعِلٌ

وكلمة (مفعول) في قول كعب بن زهير (ت 26هـ / 645م)⁽¹⁸⁾ :

فَقُلْتُ خَلُّوا طَرِيقِي لَا أَبَا لَكُمْ فَكُلَّ مَا قَدَّرَ الرَّحْمَنُ مَفْعُولٌ

جاءت بمعنى (حاصل) لا بمعنى الاسم المتأثر بفعل بوساطة فاعل ، وهو على معنى قول عبّيد الله بن قيس الرُّقَيَات (ت 85هـ / 704م)⁽¹⁹⁾ :

إِنَّ النِّسَاءَ إِذَا يُنْهَيْنَ عَنْ خُلُقٍ فَكُلَّ مَا قِيلَ لَا تَفْعَلْنَ مَفْعُولٌ

كما ينحّي البحثُ مجيء المصطلحات النحوية بمعناها اللغوية بعد عصر سيبويه ؛ لأن المصطلح لا يُمَيِّت الدلالة اللغوية للفظته ، فقول أبي العلاء المعري (ت 449هـ / 1057م)⁽²⁰⁾ :

أَلَا فِي سَبِيلِ الْمَجْدِ مَا أَنَا فَاعِلٌ عَفَافٌ وَإِقْدَامٌ وَحَزْمٌ وَنَائِلٌ

لم تحي فيه كلمة (فاعل) بمعناها الاصطلاحي ، وهي لا تختلف عنها في قول محمود سامي البارودي (ت1332هـ / 1904م) ⁽²¹⁾ :

سما الملك مختلاً بما أنت فاعلٌ وعادت بك الأيام وهي أصائلٌ

وكلمة (مفعول) في قول ابن حيّوس (ت473هـ / 1081م) ⁽²²⁾ :

ما دون أمرك في الممالك حاجزٌ قل ما تشاء فإنه مفعولٌ

جاءت بمعناها اللغوي لا الاصطلاحي .

ولا تعني تنحية الدلالة اللغوية قبول المصطلح النحوي بمعناه الاصطلاحي في عموم الشعر ؛ لأن من الشعر ما لا يصلح ميداناً لتشكيل الصورة الشعرية ، وهو الشعر التعليمي ، كالمنظومات النحوية ؛ لأنها قوالب شعرية موزونة مجردة من مواضع الشعر العربي ومواصفاته في الخلق والابتكار والتصوير ونقل الأحاسيس والمشاعر كما في ألفية ابن مالك (ت672هـ / 1274م) ، فكلمة (فاعل) في قول ابن مالك ⁽²³⁾ :

الفاعل الذي كمر فوعي أتى زيدٌ منيراً وجهه نعم الفتى

ليست بؤرة لصورة شعرية جمالية ، على حين تدل كلمة (فاعل) في قول ابن عَنين ⁽²⁴⁾ :

وحقك أن يلازمك ارتفاعٌ لآئك للندي والجود فاعلٌ

على أنه حمل نفسه - والقصيدة في مخاطبة نفسه - إلى أعلى المراتب ؛ إذ كان بجوده وكرمه يرتفع عن مستوى أقرانه ، فاستثمر بُعد الارتفاع من حكم الفاعل وهو الرفع ، واستثمر بُعد مركزية قيم الجود من جعل النحاة الفاعل مسنداً إليه .

وأما في الأمر الثاني أمر اختيار نسق لترتيب أبواب النحو العربي فيتهدى البحث بصنيع ابن مالك في ألفيته ؛ لشهرة الألفية ، ونضوج التصور النظري في ترتيب أبواب النحو العربي فيها . إلا أننا لا نجعل النداء وملحقاته من استغاثة

وندبة ، والنصب على حذف الفعل اختصاصاً وتحذيراً وإغراءً بعد التوابع بل نجعل هذه الأبواب تالية للمفعول به ، عملاً بوحدة الحكم النحوي في ترتيب أبواب النحو العربي⁽²⁵⁾ ، وهذا الذي يجعل البحث ينحو أولاً منحى المنهج الوصفي في عرض المصطلحات النحوية في الشعر العربي وفق ترتيب الألفية بشكل عام ، ثم عند التحليل يأخذ بتقنيات المنهج التاريخي .

وثمة جدلية في دراسة هذا البحث مفادها أن للبحث طرفين : طرفاً من جهة الشعر وطرفاً من جهة النحو ، فهل ينبغي أن يكون الباحث مختصاً بالأدب ليعبر من الشعر إلى النحو ، أم ينبغي أن يكون مختصاً بالنحو ليعبر من النحو إلى الشعر .

في إضاءة هذه الجدلية نجد أن الذين أشاروا إلى ظاهرة البحث عبروا من الشعر إلى النحو ، فاکتفوا في معظمهم بتحديد وجود هذا المصطلح أو ذاك من مصطلحات النحو في شعر هذا الشاعر أو ذاك ، من غير الالتفات إلى الأبعاد التي أضفاها المصطلح النحوي على الصورة الأدبية وأضافها إلى الفكرة ، ومن غير الالتزام بمنهج علمي واضح في ترتيب عرض هذه المصطلحات ، لهذا نريد أن ندخل عالم الشعر حاملين معنا مصطلحاتنا النحوية ودلالاتها لتكون مصابيح تهدي إلى مراد الشاعر ، وترسم صورته الأدبية رسماً واضح المعالم جلياً الدلالات ؛ ولا سيما أن الدرس اللغوي الحديث في اللسانيات يجمع الأدب بفنونه إلى اللغة بعلومها عند التحليل النقدي للأدب كما في أعمال البنيويين الكبار ؛ مثل رولان بارت الذي يقول في إشكالية التداخل الضرورية بين العلم كالنحو والأدب كالشعر : إن البنيوية بوصفها علماً تجد نفسها قائمة في كل مستويات العمل الأدبي . . . وبما أن البنيوية ناتجة عن اللسانيات فإنها تجد في الأدب موضوعاً ناتجاً عن اللغة⁽²⁶⁾ . ولا ينسى رولان بارت أن يؤكد الفرضية الجمالية التي يسعى البحث إلى اختبارها ، إذ يقول : التعبير الاصطلاحي والاشتقاقي ينبوع للدال⁽²⁷⁾ . فهل كان نقل بعض الشعراء للكلمات من معناها اللغوي إلى معناها الاصطلاحي في النحو ينبوعاً لمعنى جديد؟

المصطلح النحوي والصورة الشعرية

سنوزع دراسة المصطلح النحوي وعلاقته بالصورة الشعرية على محورين ، هما الحضور ، والأبعاد ، ندرس في الأول حضور المصطلح النحوي حسب أبواب النحو ، ونجعل المحور الثاني لتحليل أبعاد هذا الحضور .

1 - الحضور

- أقسام الكلم :

الكلم في العربية اسمٌ ، وفعلٌ ، وحرفٌ جاء لمعنى ليس باسم ولا فعل⁽²⁸⁾ ، وقد تمثّل أبو العلاء المعريّ هذه القسمة بقوله⁽²⁹⁾ :

حروفٌ سُريّ جاءتْ لمعنى أردتُهُ برتني أسماءٌ لهنّ وأفعالٌ

وقال صفيّ الدين الحلبي في رقيب قبيح⁽³⁰⁾ :

ليس فيه معنى يُقال ولكن هو عند النحاة جاء لمعنى

فليس في الرقيب معنى مستقل بذاته ، ولكنه بعمله يتقصد معنى ما كالحرف في موازنة الاسم والفعل .

ويتداول النحاة في جمهورهم حديثاً عن شرف الأسماء والأفعال ، فيذهب جمهورهم إلى أن الأسماء أشرفُ من الأفعال ومقدمة عليها ؛ إذ كانت بسيطة غير مركّبة تدل على المعنى ولا تدل في أصل الوضع على الزمان ، والبسيط أصل للمركب⁽³¹⁾ . وقد نظر ابن نباتة المصري (ت768هـ / 1366م) إلى هذا التصور النحوي عندما قال في مدح المؤيّد⁽³²⁾ :

يقدّم في أهل العلى شرفُ اسمه كما قدّم الاسم النحاة على الفعل

والفعل في العربية ماضٍ ومضارع وأمر عند جمهور النحاة ، وهي قسمة غير موافقة لحركة الأفلاك ، بل موافقة لعلامات التصنيف التي تميز صنفاً من صنف ، أما من حيث حركة الأفلاك فالفعل في العربية ماضٍ وحال ومستقبل ،

يُعَبَّرُ عن الحال والمستقبل بالمضارع والأمر ، مع فرق بينهما في الخبر والإنشاء⁽³³⁾ وهذه الأفعال مؤقّطة غير دائمة فصفتها التغيّر ، فالماضي لا يستصحب المضيّ أبداً الدهر ، لهذا لم يجد أبو حيان الأندلسي (ت745هـ / 1344م) أمامه إلا هذا التصور النحوي في التعبير عن تصرفه ، فقال⁽³⁴⁾ :

وكلّفتني أمراً لو أنّ أقلّه يكلفه ثهلاً كان كاد يميّد
إعادة ماض واستدامة حالة وتحصيل آت إن ذا لشديد
تصرّفت في ماضٍ وآتٍ وحاضر كأنني فعلٌ بأنّ عنه جمودٌ

لأن الجمود تثبيت الفعل في الزمن الماضي فلا يتصرّف إلى حاضر وأمر .
وقد جعل أبو العلاء المعري أذى الدنيا مستمراً من الماضي إلى الحاضر والمستقبل ، فأذاها متصرّف غير جامد ، فقال⁽³⁵⁾ :

كم تنصح الدنيا ولا نقبلُ وفائز من جدّه مُقبلُ
إنّ أذاها مثلُ أفعالنا ماضٍ وفي الحالِ ومستقبلُ

- الإعراب والبناء :

الإعراب اختلاف أواخر الكلم باختلاف العوامل لفظاً أو تقديرًا ، وهو أصل في الأسماء فرع في الفعل المضارع⁽³⁶⁾ ؛ فالاسم الصحيح المتكّن تتحكم فيه العوامل ؛ لهذا صور ابن عيّن تقلّب الزمان فيه وتغيّر أحواله بقوله⁽³⁷⁾ :

أجدك ما تزال بك الرواحلُ تنقلُ في الهواجرِ والهواجلُ
كأنك في الزمان اسمٌ صحيحٌ جرى فتحكّمت فيه العواملُ

وإذا بُني الاسم فلشبهه نقص به من مشابهة الأسماء في الاستغناء إلى مشابهة الحروف في الافتقار والنقص ، فلما مرض شرف الدين الأنصاري (ت662هـ / 1264م) أصبح مثل الاسم الموصول مبنياً ثابت الحال يحتاج إلى إتمام يجيز نقصه ، فقال⁽³⁸⁾ :

مرضتُ ولي جيرةٌ كلَّهم عن الرشد في صحبتي حائدُ
فأصبحتُ في النقص مثل الذي ولا صلةً لي ولا عائدُ
وفي كلمة (عائد) تورية جميلة إذ قصد بها الزائر .

وعلامات الإعراب أربعة : سكون وثلاث حركات ، تشير إلى أحكام أربعة للإعراب هي : الجزم والرفع والنصب والجر ، وقد استثمر بعض الشعراء هذه العلامات مع أحكامها ، فقال شرف الدين الأنصاري متغزلاً⁽³⁹⁾ :

ومُعرب اللفظ لي من نحوه أبداً حذفٌ وصرفٌ وإعلانٌ وتنكيرٌ
ولحظُهُ ساكنٌ والقَدُّ منتصبٌ والقرطُ مرتفعٌ والمرطُ مجرورٌ

فشخصَ بعلامات الإعراب محبوبته ذات العينين اللتين لا تتحركان ثباتاً وثقة ، والرقبة الطويلة التي تجعل القرط مرتفعاً عن الكتفين ، واللباس الطويل الذي يتجرّر مع حركتها في أثناء المشي . إلا أن صفّي الدين كان أبعد دلالة وأدقّ تصويراً لأثر العين الساكنة عندما قلب موازين علامات الإعراب ، وجعل السكون أسرع الحركات في الفتك بالعشاق ، فقال⁽⁴⁰⁾ :

وعيونٌ في لحظهنَّ سكونٌ هو في الفتك أسرع الحركاتِ
ورأى ابن الوردي أن اقتباس التلعفري (ت675هـ / 1277م) لأحكام الاسم في غاية الحسن ، إذ قال⁽⁴¹⁾ :

وإذا الثيّبة أشرقَتْ وتيمَّمتْ أرجاؤها أرجاً كنشر عبيرِ
سل هضْبها المنسوبَ أين حديثُها السمرُ فوعٌ عن ذيل الصَّبَا المجرورِ
فالمنسوب نعت للاسم المنسوب ، والمرفوع نعت للاسم المرفوع ، والمجرور نعت للاسم المجرور⁽⁴²⁾ .

ومن أجمل ما قيل في استثمار أحكام الإعراب استغراق شرف الدين الأنصاري أحكام الإعراب للممدوح ، فجاء بكمال الأحكام لكمال الممدوح ، فقال⁽⁴³⁾ :

مديحٌ تخيّرتُ القوافي مُحكّياً به رفعها والنصبَ والجزمَ والجراً

فقد أصبحت اللغةُ بأحكامها كافةً مسالكَ إلى مديح الممدوح .

واللافت في أحكام الإعراب مصطلح (الخفض أو الجر) إذ استخدمه ابن عَنِين للدلالة على الغنى والسعة والرفاهية ، فقال في مديح الملك العزيز طُعْتَكِين (44) :

أَتَيْتُ إِلَيْهِ وَالزَّمَانُ عِنَادُهُ عِنَادِي وَقَدْ سُدَّتْ عَلَيَّ الْمَذَاهِبُ

لِيَرْفَعَ مِنْ قَدْرِي وَيَجْزِمَ حَاسِدِي وَأَصْبَحَ فِي خَفْضٍ فَكَمْ أَنَا نَاصِبُ

واستخدمه صفي الدين الحلبي بمعنى التقليل من القدر ، فقال وهو يعتذر لأحد الأعيان (15) :

يَا عَلَمًا لَاحٍ لَخْفُضِ الْعَدَى وَهُوَ لِرَفْعِ الذِّكْرِ مَنْصُوبُ

وقريب من هذا المعنى لجوء شرف الدين الأنصاري إلى الطباق بين الرفع والخفض في قوله وهو يمدح الملك الأمجد (46) :

رَفَعْتَ ذَوِي الْإِعْرَابِ مِنْ بَعْدِ خَفْضِهِمْ فَأَثْنَى عَلَيْكَ الرَّفْعُ وَالنَّصَبُ وَالْجَرُّ

- التنكير والتعريف :

التنكير نقيض التعريف ، فلا يجتمعان في اسم واحد وذات واحدة على معنى واحد ، فمن المعارف الاسم المعروف بالعلمية ، كالإشارة الواردة في قول صفي الدين الحلبي (47) :

يَا عَلَمًا لَاحٍ لَخْفُضِ الْعَدَى وَهُوَ لِرَفْعِ الذِّكْرِ مَنْصُوبُ

فذكر أنه يعتذر إلى عَلم من غير أن يسميه ، وهو ما فعله البوصيري (ت696هـ / 1296م) عندما قال (48) :

فَتَشَابَهَتْ أَسْمَاؤُهُمْ وَصِفَاتُهُمْ وَغَنَوْنَا عَنْ التَّعْرِيفِ بِالْأَعْلَامِ

أما ابن معتوق (ت1087هـ / 1676م) فقد حلت صفته في الحب محلَّ اسمه العَلَم حتى أضحى اسمه الحقيقي نكرة ، فقال⁽⁴⁹⁾ :

ما صرتُ في الحب بين الناس معرفةً حتى تنكّر فيكم بالزنى عَلمي

ومن المعارف الضمير بأشكاله المختلفة ، فقال علي بن عبدالله الكوفي المغربي (ت667هـ / 1268م) يتلاعب بالضمائر⁽⁵⁰⁾ :

عذبتَ قلبي بهجر منك متصلٍ يا مَنْ هواه ضميرٌ غير منفصلٍ

فالهجرُ من المحبوبة متواصل ، على حين الهوى والعشق من الشاعر غير منفصلين عنه ، فالحبُّ عن ضمير محبوبة الشاعر منفصلٌ ، والحبُّ عند الشاعر متصلٌ .

وشكا علي بن داود الزبيري (ت745هـ / 1344م) من لظى حبه المكنون ، فقال⁽⁵¹⁾ :

أضمرتُ في القلب هوى شادنٍ مشغل في النحو لا يُنصفُ
وصفتُ ما أضمرتُ يوماً له فقال لي : المضمّر لا يُوصَفُ

فقد دلّ المحبوب على علمه بالنحو عندما احتج على وصف الشاعر لهواه بقول النحاة : المضمّر لا يُوصَفُ⁽⁵²⁾ .

وكان محمد بن عبدالله السلامي (ت393هـ / 1002م) قد ذهب إلى أن الحَمرة فيها سرٌّ مضمّر مستقر لا يظهر إلا لشاربها ، فقال⁽⁵³⁾ :

عذراءٌ يكتُمها المزا جُ كأنّها فيه ضميرٌ

ومن أكثر المعارف وروداً في الشعر مصطلحات الاسم الموصول وأحكامه⁽⁵⁴⁾ ، فأبو حيان الأندلسي رأى في اجتماع الاسم الموصول مع صلته وعائده صورةً تعبّر عن اجتماعه بزوجه عندما كانت حية ، لهذا رثاها بقوله⁽⁵⁵⁾ :

وكنا الذي مع وصلة لي وعائدٍ وقد حُذفا لم يبقَ فيها سوى الذي

والاسم الموصول وحده ناقص لا معنى لوجوده ؛ لأن معناه بصلته .
وورى صفى الدين الحلبي بمصطلحي الصلة والعائد ، فجعل الأول ندى
الممدوح ، والثاني برّه ، فقال⁽⁵⁶⁾ :

وعلمتُ أني في محبتك الذي فنداك لي صلة وبرك عائدُ
وعلل الشيخ علاء الدين الوداعي (ت716هـ / 1316م) إخفاقه في إنكار
حبّه بـ (أل) التعريف ، فقال⁽⁵⁷⁾ :

كلما رُمتُ فيك إنكارَ حبي من عدول يزيد في تعنفي
عرفته لأم العذار غرامي بك واللام آلة التعريف
وهو في عدّه أداة التعريف هي اللام وحدها يوافق مذهب بعض النحاة
الذين لا يرون الألف من أصل التعريف⁽⁵⁸⁾ .

ومن أحكام (أل) التعريف أنها لا تجتمع مع التنوين ، لهذا أصبحت هذه
القاعدة دلالة على الاستحالة في الشعر ، فقال الفاضل يائساً من موعد
وصاله⁽⁵⁹⁾ :

لي عندكم دين ولكن هل له من طالب وفؤادي المرهونُ
فكأنني ألف ولام في الهوى وكأنّ موعد وصلك التنوينُ
أما التعريف بالإضافة فمكانه مع المحرورات .

- المبتدا والخبر

مدح ابن عَنين ابن شكر الوزير بأنه عصاميّ بنى نفسه بنفسه من غير أن
يرفعه إلى العلى شخص معروف ظاهر ، فقال⁽⁶⁰⁾ :

ولأنت إن رُفع امرؤ من غيره كـ «المبتدا» سبب ارتفاعك معنوي
وشرح ابن الوردي المبتدا والخبر في حكاية جميلة ، فقال⁽⁶¹⁾ :

وأغيد يسألني ما المبتدا والخبرُ
مثلهمالي مُسرِعاً فقلتُ أنت القمرُ

فجاء بالمثال من سياق الحال ؛ لهذا استحسّن ابن حجة تمثيله ، فقال :
ويعجبني في هذا الباب إلى الغاية - باب الاقتباس - قول الشيخ زين الدين بن
الوردي رحمه الله تعالى ⁽⁶²⁾ وذكر البيتين .

وصوّر ابن الوردي الدنيا بأنها جميلة حلوة جاذبة كالمبتدأ لكن تنقيح
مناطقها يكون بالخاتمة كما يكون تنقيح مناط المبتدا بالخبر ؛ لأن الخبر عنصر المعنى
في الجملة الاسمية الصغرى ، فقال عن المغترّ بالدنيا ⁽⁶³⁾ :

مبتدا حلوّ لمن ذاقه ولكن انظر خبر المبتدا
- النواسخ :

رفض شهاب الدين التلعفري أن ينسخ غرامه بزمان ماضٍ ، لأنه يرى أن
الحب كجملة المبتدا ثابتٌ متجدد ، فقال ⁽⁶⁴⁾ :

لولاك يا ظبيّ الصريم لما غدا قلبي وطرفي هائماً ومسهداً
صيرتني خبراً لـ (كان) من الضنى والمنتهى بي في الغرام المبتدا

كما رفض أبو إسحاق الغزّي أن يكون ضميراً منسوخاً في (كان) فلا
يعرفه أحد ، فقال ⁽⁶⁵⁾ :

حاتم يضمّر عزمي في المنى زمني كالاسم يضمّره النحويُّ في كانا

ولما أراد الخضرّي في حاشيته على شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك
أن يوضح منع النحاة تقدّم خبر إنّ عليها أو على اسمها إلا إن كان الخبر شبه
جملة فيجوز أن يتقدم على اسمها اتخذ من قول ابن عيّن ⁽⁶⁶⁾ :

كأنّي من أخبار إنّ ولم يُجرز له أحدٌ في النحو أن يتقدّم
عسى حرف جرٍّ من نذاك يجرّني إليك فأضحى في علاك مقدّمًا

وسيلة تعليمية توضيحية ⁽⁶⁷⁾ .

- الفاعل :

رأى ابن القيسراني (ت548هـ / 1153م) أن العلاقة بين الدولة والوزير أبي جعفر جمال الدين محمد بن علي علاقة إسناد وتكامل ، فلا وجود للوزير الممدوح بلا دولته ، ولا استمرار عزة للدولة إلا به ، واتخذ من علاقة إسناد الفعل إلى فاعله وتلازم كل منهما مع الآخر وجوداً وعدمًا صورة إيضاحية لهذه العلاقة ، فقال (68) :

أبا جعفر أشرفت دولةً أضياء لها بدرُكَ الكاملُ
فإما نُصبتَ لرفع اسمها فإنكما الفعلُ والفاعلُ

وجعل شرف الدين الأنصاري من الملك المظفر فاعلاً حقيقياً لا مجازياً يكتفي بالإسناد الشكلي للفعل ، فقال (69) :

إذا فاعلٌ رامَ ارتفاعاً بفعله ففعلُكَ مرفوعٌ بأنَّكَ فاعلُهُ

فهو الذي يصنع أفعاله ، لا أفعاله هي التي تصنعه فترفعه ، وفي جعل الفعل مرفوعاً إشارة إلى الفعل المضارع الدال على الحاضر والمستقبل والتجدد ، فتكون أفعاله متواصلة دائمة بوجوده .

ورأى ابن الساعاتي (ت604هـ / 1208م) أن نصب الرماح والاستعداد للقتال بها بعد أن كانت منكسة ما تم إلا لأن فاعل هذا النصب هو ممدوحه ، فقال (70) :

نصبتَ رماحَ الخطِّ وهي خوافضُ وما انتصبتُ إلا لأنَّكَ فاعلُ

- المفعولات :

المفعولات في نحو العربية على ضربين : أصلية وفرعية ، فأما الأصلية فهي التي يطلبها الفعل ويؤثر فيها ، مثل المفعول به ، والمفعول المطلق ، والمفعول له ، والمفعول فيه . وأما الفرعية فهي التي يطلبها الاسم مثل الحال والتمييز ، ويجمع بين الضربين حكم النصب وصفة الفضلة . والمفعولات عناصر حرة في

التقديم والتأخير ما لم يمنع مانع من زوال الحكم الإعرابي أو خفاء المعنى ولبسه ، ومع هذا الحكم العام يبقى التقديم قضية شكلية في التحليل الإعرابي ، فالمفعولُ به مفعولٌ به تقدّم أو تأخر فيكون من تقديم اللفظ لا الرتبة ؛ لهذا عندما وازنَ ابن عَنين بين الجهول والعليم وجد أن تقدم الجهول تقدم شكلي لأنه في حقيقته مؤخر عن العليم الفاضل ، ووجد ضالته في جواز تقدم المفعول به لفظاً لا رتبة على الفاعل فقال⁽⁷¹⁾ :

إِنَّ الْجَهُولَ إِذَا تَصَدَّرَ بِالْغَنَى فِي مَجْلَسٍ فَوْقَ الْعَلِيمِ الْفَاضِلِ
فَهُوَ الْمُؤَخَّرُ فِي الْمَحَافِلِ كُلِّهَا كَتَقَدَّمَ الْمَفْعُولُ فَوْقَ الْفَاعِلِ

واستفادة الشعراء من مصطلحات النصب على إضمار الفعل أكثر من الاستفادة من مصطلح المفعول به ، كالدعاء والندبة والترخيم والإغراء والتحذير ، فكل الناس أعلام تُنادى لتكونُ فداءً لممدوح ابن عنين⁽⁷²⁾ :

فِدَاؤُكَ كُلٌّ مِنْ أَمْسَى لِبَخْلٍ نَدَاهُ كَأَنَّهُ عَظْمٌ مُنَادَى

ويسعى نزار قباني (ت1419هـ / 1998م) إلى الإفادة من دلالات أحرف النداء قرباً وبعداً وتنبيهاً في نداء محبوبته فيقول⁽⁷³⁾ :

دعيني أنادي عليك بكلِّ حروفِ النداءِ
لعلِّي إذا ما تغرغرتُ باسمك
من شففتي تُولِّدين

واستشفع ابن قُذس الأرممني الشافعيّ (ت722هـ / 1322م) بالنحو بعد أن صُرفَ من تولّى حكم القُضاء والنيابة فيه بقوص ، فجاء إلى القاضي ، وحضر درسه ، ثم أنشد لنفسه :

حاشاكم أن تقطعوا صلة الذي أو تصرفوا عَظْمَ المعارفِ أحمدًا
هو مبتدا يُجْباءُ أبنا جنسه والله يأبى غير رفع المبتدا
أغريتم الزمنَ المشتَّ بشمله وحذفتموه كأنه حرف النداء

فأمره القاضي أن يستمرّ في نيابة الحكم⁽⁷⁴⁾ .

إنّ استشفاع ابن قدس الأرمني بمصطلحات النحو وقوانينه دليل على أن النحو كان قوة معرفية حاضرة مزدهرة آنذاك ، ولعل القاضي الذي نجهل اسمه من المشتغلين بالنحو ، فيكون ابن قدس قد حاجَّه بمنطقه بأربع حجج : أولاها أنه كالصلة وحذف الصلة خلاف الأصل ، وثانيها أن اسمه أحمد ، وهو علم ممنوع من الصرف ، وثالثها أنه مبتدأ النجباء في بلده والمبتدأ حكمه الرفع والرقي ، ورابعها أنه كحرف النداء إن حذف فهو في حكم الموجود أما حذفه بلا تقدير فغير جائز لئلا يستحيل الكلام من الإنشاء إلى الخبر .

وهكذا تحل مصطلحات النحو وقوانينه محل الحجج الحقيقية كالكفاءة والعلم والعدل وما شابه ، كأنه رأى أن المنطق النحوي أقوى من منطق الحياة .

ونادى ابن نباتة محبوبته باسمها فلم تجب ، وكرّر النداء حتى ضعف صوته فرخّم المنادى ، فلم تُجِبْ فقال⁽⁷⁵⁾ :

ناديتُ بالاسم وترخيمه وصحتُ يا ستينُ يا ستي

وحاول ابن قزل (ت 656هـ / 1258م) أن يفيد من قواعد المنادى عندما عمّى اسم محبوبته ، فقال⁽⁷⁶⁾ :

با حبيباً جعلته نُصِبَ عيني حين أمسى في الحُسن وهو فريدُ
أنت قصدي وقد جعلتُ ندائي لك دون الوري فهلا تجوّد
والمنادى المنصوب إن جاء يوماً لفظه مفرداً هو المقصود

وظنّ أن المنادى المفرد المنصوب هو المقصود ، وظنه في غير محله ؛ لأنّ المنادى المفرد المنصوب هو النكرة غير المقصودة . أما المنادى المفرد المقصود فهو النكرة المقصودة . وحكمه أن يكون مبنياً على ما يرفع به في محل نصب ، فتشكيل الصورة الشعرية غير دقيق لأنه يدل على عدم تمكن من صناعة النحو وأحكامها .

ولما انتصر الملك الأمجد على أعدائه ، وأوقع فيهم ما أوقع من أسر وقتل ،

فُجِعَ بهم أهلوهـم وندبوهم ، فقال شرف الدين الأنصاري (77) :

عظفتَ نحو العدا عطفاً أعادهم وليس فيهم مُنادى غيرُ مندوبٍ
فوجه مصطلح المنادى غير المندوب توجيهاً يلائم غرضه ويناسب فكرته .
وأشار صفي الدين الحلبي إلى أن قلبه ملازمٌ الحزنَ كأنه مأمور بفعل
إغراء ، فقال في الرثاء (78) :

فلئن خففتُ لهم جناحَ تحملي فالقلبُ منصوبٌ على الإغراء
أما ابن حجة الحموي فطابق بين الإغراء والتحذير ، والتعريف والتنكير ،
والإعراب الصريح والإعراب التقديري في التعبير عن المفارقة بين حاله وحال
محبوبته ، فقال (79) :

إغراءٌ لحظك ما لي منه تحذير ولا لتعريفٍ وجدي فيه تنكيرُ
ومن أياديه يعطينا بلا قدرٍ فما لإعرابه في الفضل تقديرُ
وتفكر أبو العلاء المعري في أمر الخلق ، فوجدهم بين ماضٍ ومقبل ،
وزمان ومكان ، فقال راسماً فكرته بمصطلحات المفعول فيه (الظرف) (80) :

أرى الخلقَ في أمرين ماضٍ ومُقبلُ وظرفين ظرفي مدة ومكانٍ
وأشار إلى أن الإنسان في علاقة دائمة مع النوائب ، فتارة يتقدم فيجدها
أمامه ، وأخرى يتأخر فتتبعه ؛ لهذا قال (81) :

والجسمُ ظرف نوائبٍ وكأنه ظرفٌ يؤخرُ تارةً ويُقدِّمُ
وعاتبَ ابن عَين صدر الدين جهانَ رئيسَ الحنفية في بخاري قائلًا (82) :

لمَ أخَرْتَنِي وقَدِّمْتَ غيري أنا حالٌ وغيري استفهامُ؟
أي : أأنا حالٌ وغيري استفهامُ؟ فأصل الحال التأخير ، وحق الاستفهام
التصدُّر بأدواته ، لهذا شابه الحال موقف صدر الدين من ابن عَين .

وجانسَ صفيّ الدين الحلّي بين الحال بالمعنى اللغوي والحال بالمعنى الاصطلاحي في النحو ، ووجهٌ غيره من المصطلحات توجيه توريّة ، فقال⁽⁸³⁾ :

يا جاعلي خبري بالهجر مبتدئاً لا عطفَ فيكم ولا لي منكمُ بَدَكُ
رفعتُ حالي ورفع الحال ممتنعٌ إليكم وهو للتمييز يحتملُ

فهو يحتاج إلى من يوضح حالته ، أو يزيل عنها الإبهام ليعرف ما يعاينه .

وقد يؤدي استعمال المصطلحات النحوية إلى صورة شعريّة مشوّهة نتيجة ضعف تمثّل بعض الشعراء لأبعاد المصطلحات النحوية ، فينحطُّ مستوى الشعر⁽⁸⁴⁾ ، كما في قول ابن حبيب عمر بن حسن (ت726هـ / 1326م)⁽⁸⁵⁾ :

نصبتُ على التمييز إنسانَ مقلتي أشاهدُ قدّاً منه نصباً على الظرفِ
أأخشى لديه فرقةً وقساوةً وقد جاء واو الصدغ للجمع والعطفِ
فلا معنى لـ «واو الصدغ» .

- المجروران :

المجروران هما الاسم المجرور بحرف الجر أو بالإضافة ، وهما أصلان لغيرها من التوابع في الجر ، وقد وازن نزار قباني بين أحرف الجر والأفعال ، فوجد أن الأفعال أشرف وأعمق أثراً من أحرف الجر ؛ لأن الأفعال دالة بذاتها على الزمن والمعنى ، لكن أحرف الجر غير مستقلة بمعنى ، فمعناها بدخولها على غيرها ، وهي في أحوالها كلها معان متغيرة حسب السياق وقرائن الكلام ، لهذا قال نزار قباني في قصيدة ترصيع بالذهب على سيف دمشق⁽⁸⁶⁾ :

علّمينا الأفعال . . قد ذَبَحْتُنَا

أحرفُ الجرِّ . . والكلامُ العجيبُ

علّمينا قراءةَ البرقِ والرعدِ

فنصف اللغاتِ وحلّ وطينُ

وعندما تفكر ابن الوردي في الثابت والمتغير من الناس رأى أن الثابت هو الأفضل حتى إن كان فقيراً ، فقال (87) :

فلا تكُ في الدنيا مضافاً وكنُ بها مضافاً إليه إن قدرت عليه
فكلُّ مضافٍ للعواملِ عرضةٌ وقد خصَّ بالخفضِ المضافُ إليه

وجاء ابن نباتة بصورة رائعة للإنسان الكريم الذي يقضي بكرمه على البخل ، فلا يبقى محتاجٌ أمام كرمه ، فقال (88) :

فعلتُ راحتاه في كلِّ عُسْرٍ مثلَ فعلِ المضافِ في التنوين
فالمضاف والتنوين لا يجتمعان ، وأعمال ممدوحه الجلال القزويني والعسر كذلك .

- التوابع :

جمع ابن حجة الحموي ثلاثة من التوابع في بيت واحد ، فقال (89) :

ومن نفسه عطفٌ وتوكيدٌ رأفةً بلا بدلٍ أكرمُ بهذي التوابع
فابن حجة يتعجب من هذه التوابع لكنه أتى بها تورية .

وأشار ابن سناء الملك (ت608هـ / 1212م) إلى ترتيب بابي النعت والعطف ، فقال (90) :

ومن نحو شعري جاءه بابُ نعتِهِ لعلِّي أقرا بعده بابَ عطفِهِ
ورثى الأعمى التطيلي (ت525هـ / 1131م) مدينة طليطلة بالأندلس ، فقال (91) :

شافهُ طليطلة ماذا تريدُ بها بالعطف إن أشكل التوكيدُ والبدلُ
ومدح ابن سهل الأندلسي (ت649هـ / 1251م) باستعمال مصطلحي العطف والتوكيد ، فقال (92) :

حان علينا شافعٌ إحسانه فينا فمنه العطفُ والتوكيدُ

- الممنوع من الصرف :

في قصيدة اعتذار لأبي تمام استفاد نزار قباني من مصطلح الممنوع من الصرف بتشكيل جناس يفرق بين معنييه الاصطلاحي واللغوي في ظل الاتحاد في لفظه ، فقال⁽⁹³⁾ :

أبا تمام . . إنَّ النارَ تأكلُنا

وما زلنا نجادل بعضنا بعضاً

عن المصروف والممنوع من صرف

وجيش الغاصب المحتل ممنوع من الصرف !!

وروي أنَّ الشاعر ابن عَنِين كان يتمشى بالجامع ، فسمع بعزل المؤيد ، فقال⁽⁹⁴⁾ :

تشكى المؤيد من صرفه	وذمَّ الزمانَ وأبدى السَّفهَ
فقلتُ له لا تدمِّ الزمان	فتظلمَ أيامَه المنصفَه
ولا تغضبَنَّ إذا ما صُرفتْ	فلا عدلَ فيكَ ولا معرفَه

فابن عَنِين يسوغ عزل المؤيد تسويغاً نحويّاً ؛ لأنه علّمَ لم تلحقه العلة المانعة من الصرف ، واسمه غير معدول عن وزن فاعل إلى وزن فُعَل ، ولكن هذا البعد يُخفي وراءَه تورية ترشد إلى السبب الحقيقي برأي الشاعر الذي أدّى إلى عزل المؤيد ، وهي أنه كان مقصراً في صفتين من صفات الحاكم ، هما العدل ، والمعرفة بأمور الحكم وسياسة الرعية ، لكنه أتى بالفكرة بأسلوب هزلي بديعي .

وروي ابنُ حجة أنه حكى عن غلامين بالعراق ، أحدهما اسمه عُمر ، والآخر أحمد ، فعزَلَ عمر عن عمله ، وولي أحمد مكانه ، فقال بعض الشعراء⁽⁹⁵⁾ :

أيا عمرُ استعدَّ لغير هذا	فأحمد في الولاية مطمئنٌ
وكلُّ منكما كُفءٌ كريمٌ	ومنع الصرف فيه كما يظنُّ
فيصدق فيكَ معرفة وعدلٌ	وأحمد فيه معرفة ووزنٌ

فالشاعر يُطمئنُ الاثنين إلى أنهما غير مصروفين صرفاً دائماً ؛ فكل منهما كفاء كريم ، فـ (عمر) سيستقر في منصب جديد ، وأحمد سيحلّ محلّه في منصبه القديم ، وقد سوّغ الشاعر هذا الاستقرار بأنّ كلاهما كفاء كريم إضافة إلى أن عمر ممنوع من الصرف للعلميّة والعدل ، وأحمد ممنوع من الصرف للعلميّة ووزن الفعل .

وروى ابنُ حَجّة عن نفسه أنه كان يطالب شهاب الدين الذهبي بخمسين ديناراً ، فمطل بها مدة ، فكتب إليه⁽⁹⁶⁾ :

قد منعتم صرف الدنانير عني ولكم في الوري هباتٌ كثيرة
وأنا شاعر وفي شرع نظمي صرفُها جائز لأجلِ الضرورة

فابن حجة يستشفع بجواز صرف الممنوع من الصرف بالضرورة للشعرية للضرورة الحياتية .

وأشار ابن الوردي إلى حالة صرف الممنوع من الصرف عند الإضافة في حديثه عن سهر العاشق الذي لا يكاد الهمّ ينصرف عنه ، فقال في حوار شعري ظريف⁽⁹⁷⁾ :

قلتُ : إذا غررتني يا آنساً عني نَقَرُ
فما أنا أولُ مَنْ قد غرّه ضوؤُ القَمَرِ
قال : انصرفُ قلت : أما تعلمُ أن اسمي عَمَرُ
قال : أضفناكَ انصرفُ إلى الهمومِ والسّهَرِ

فابن الوردي اسمه عمر ، وهو علم ممنوع من الصرف للتعريف والعدل ، ولا يصرف إلا عند الإضافة ، وهذه الإضافة تكون بسبب سلب تعريف العلمية المفرد منه وتنكيره ثم إضافته .

- الجزم :

نظر المتنبّي (ت354هـ / 965م) وهو يمدح سيف الدولة إلى زمن الفعل المضارع عند النحاة في الدلالة على المستقبل خاصة وإلى حروف الجزم وهي كلها - كما يقول المعري - حروف تعويق ، فقال⁽⁹⁸⁾ :

إذا كان ما تنويه فعلاً مضارعاً مضى قبل أن تُلقى عليه الجوازمُ

قال ابن الإفليّ (ت441هـ / 1049م) : إذا كان ما تنويه فعلاً مستقبلاً ، ولفظ المستقبل يشترك ما بين الدائم الذي لم ينقطع ، والمتأخر الذي لم يقع ، صار ذلك الفعلُ ماضياً بوقوعه منك ، ومتصرفاً بتمكنه لك قبل أن تلحقه الجوازم ، فتثبت فيما لم يجب ، وتدخل عليه فتخلصه لما لم يقع . وأشار بهذا إلى أن ما ينويه فالله يُيسره له ، وما يريده فالأيام لا تمطّله به⁽⁹⁹⁾ . وزاد العكبريّ (ت616هـ / 1219م) والبيت بناه على التورية⁽¹⁰⁰⁾ ؛ لأنه قصد أن سيوف الأعداء الجازمة لا يمكنها أن تمنع إرادته ، فأمر سيف الدولة نافذ .

وجعل ابن القيسراني الجوازم التي تبطل فعل الأعداء بيد المسلمين ، فقال في مدح نور الدين محمود بن زنكي⁽¹⁰¹⁾ :

تلك العواملُ أيُّ أفعالِ العدى ما سكّنت حركاتها بجوازم

فكل فعل من أفعال العدى يجد له من جوازم نورالدين زنكي رصداً يقطعه عن الحركة والاستمرار في الفعل ، فيضحى ماضياً منقطعاً .

- الاستفهام :

يرى النحاة أن الأصل في من الاستفهامية أن تستعمل لمن يعقل ، كما أن الأصل في ما الاستفهامية أن تُستعمل لمن لا يعقل ، ويجيز علماء المعاني أن تتقارضا تحقيراً للعاقل وتعظيماً لغيره ، وقد رمى المتنبّي فكرته على هذا التقارض في قوله⁽¹⁰²⁾ :

حولي بكل مكان منهم خلق نُخطي إذا جئت في استفهامها بـ (من)

والمعنى حولي من هؤلاء الناس جماعة كالبهائم ، فإذا قلتَ من أنتم؟
أخطأت في القول ، لأنك خاطبت ما لا يعقل بما يُخاطَبُ به من يعقل⁽¹⁰³⁾
فحقهم أن يُستفهمَ عنهم بـ (ما)⁽¹⁰⁴⁾ .

واستفاد نزار قباني من علامة الترقيم التي نضعها في أواخر أسئلة
الاستفهام عندما أراد أن يجعل من حديثه سؤالاً يستثير الناس إلى جواب ،
فقال⁽¹⁰⁵⁾ :

والمقعد الثاني الذي ملأته . .
بشاشة ورقة . . في سالف الأيام
يرفضني . .
يرسم حول مقعدي
إشارة استفهام

- المقصور والممدود :

وصل صفي الحلبي إلى معنى ظريف باستعمال المفارقة الدلالية بين
المقصور والممدود من الأسماء في لفظة الهواء ، فقال يصف داء الوجد في
محاورة مع الطبيب⁽¹⁰⁶⁾ :

قال : إنَّ الهواءَ أحدثَ بلوا كَ فقلتُ : المقصور لا الممدودُ
أي أنَّ سبب مرضه الهوى بمعنى العشق لا الهوا بمعنى الجو .

- الوقف :

أشار أبو العلاء المعري إلى مصطلح الوقف عندما جعل نفسه كحرف من
كلمة موقوف عليها ، فقال⁽¹⁰⁷⁾ :

وخلتُ أني حرف الوقف سكّنه وقُفُّ وأدركه في ذاك تشديدُ

والمصطلح النحويّ في البيت لم يسعف أبا العلاء المعري في الإلمام

بصورته الشعرية لأن الحرف المسكّن للوقف لا يدركه التشديد إلا إن قصد المعري أن الوقف منع حرته ، وكان تكرار الحرف للتشديد ثقيلًا وزيادة في حجر حرته ومنعه منها ، أما إن فهمنا التشديد على أنه تعويض عن الحركة المحذوفة فإن وجوده يُوجد حركةً جديدةً لئلا يلتقي ساكنان .

- التصغير⁽¹⁰⁸⁾ :

قال الشاب الظريف (ت688هـ / 1289م) يصف شاباً مليحاً يدرسُ النحو⁽¹⁰⁹⁾ :

قد صَغُرَ الجوهرُ من ثغره لكنَّه تصغيرٌ تحبيب

فجعل التصغير مزية إيجابية في الثغر ؛ إذ ذهب به إلى معنى تصغير التحبب لا التقليل والتحقير .

وكان للبهاء زهير (ت656هـ / 1258م) صاحبٌ دونه شأنًا ، إلا أن البهاء كان يُكبرُه ويقدمه على نفسه ، حتى استيقن يوماً أن ما فعله كان خطأ ، فقال⁽¹¹⁰⁾ :

نَقَضْتُ إذ جعلته كبيرِي كما تُزادُ الياءُ في التصغيرِ

فياء التصغير زيادة في المبنى وتصغير في المعنى كصاحب البهاء زهير يرفعه البهاء إلا أنه يبقى كما هو ، فالمضمون هو المضمون .

- الاشتقاق والتصريف :

من مسائل الاشتقاق تحديد الزائد من الأصلي ، وقد أشار أبو العلاء المعري إلى هذين المصطلحين في ذمه لزمانه ، فقال⁽¹¹¹⁾ :

وكيف أَرَجِي من زمانٍ زيادة وقد حُذِفَ الأصلي حَذَفَ الزوائدِ

إذ بلغ الإجحافُ في زمانه أن استوى الضدان في الانتقاص منهما .

وأشار ابن معتوق إلى أن الفعل مشتق من المصدر ، واسم الفاعل مشتق من المصدر ، فقال في المديح⁽¹¹²⁾ :

مضى فعله المشتق من مصدر العلا فصَحَّ له منه اشتقاق اسم فاعلٍ
فهو فاعل لكل ما يؤدي إلى العلا .

وهجا كشاجم (ت360هـ / 970م) رجلاً بالإفادة من العلاقة بين لونه
وفعله ، فقال (113) :

يا مُشَبَّهاً في لونه فعله لم تَعُدْ ما أوجبت القِسْمَه
ظلمك من خلقك مستخرجٌ والظلم مشتقٌ من الظُّلمه

فأقام دليلاً على ثبوت الظلم من طبع المهجور بدليل أن لفظة الظلم مشتقة
من الظُّلمة على سبيل التشبيه الضمني ، فتكون قوانين النحو والصرف ثابتاً
ببرهن أحوال الناس في حياتهم . وإليه ذهب أبو حيان الأندلسي عندما احتج
بقول النحاة الأصل لا يعتد بالعارض فقال في إثبات ودّه (114) :

وظن قومٌ أن قلبي سلا والأصل لا يعتد بالعارض

ومن مسائل الاشتقاق الميز بين الصحيح ، المعتل ، وربط اعتلال الأسماء
والمصادر باعتلال الأفعال ، فقال أبو العلاء المعري (115) :

وفي الأصل غشٌ والفروعُ توابع وكيف وفاء النَجْلِ والأبُ غادرُ
إذا اعتلت الأفعالُ جاءت عليه كحالاتها أسماؤها والمصادرُ

قال شوقي ضيف في التعليق على المصطلحات النحوية والصرفية في
البيتين : فالأصول وما بينها من وراثات ، كل ذلك نستطيع أن نجد له تفسيراً لا
في الفلسفة بل في الصرف ، فالأفعال إذا كانت عليلة تبعثها مشتقاتها لا تستطيع
حولاً عنها ولا خلاصاً منها ، وعلى هذا النحو تتبع الفروعُ الأصولَ ، إن كانت
سليمةً سلمتْ ، وإن كانت معتلة اعتلتْ ، أرأيت إلى الصرف كيف يمكن أن
تستخرج منه تفسيراً وتصويراً لمشاكلنا؟ إنه أحد المفاتيح الصغيرة التي عثر عليها
أبو العلاء ، وجاء يستخرج منها وصف أحوالنا (116) .

وتصريف الكلمة في أبنية الفعل والاسم استرعى انتباه نزار قباني ؛ لأن الأبنية التصريفية احتمالاتٌ للكلمة تحقيقاً أو تقديرًا ، فلما أراد أن يعبر عن استيفائه احتمالات فهم واقعه أو غرامه وجد في تصريف الأفعال صورة تعبيرية هادية إلى ما يريد فقال⁽¹¹⁷⁾ :

أنا منذ خمسين عاماً
أحاول تصريفَ فعلِ الغرامِ
ولكنني في دروسيَ جميعاً رسبتُ

فقد جربَ الاحتمالات الممكنة كلها ، فما عاد من تجاربه إلا بالفشل والرسوب .

وعلى النقيض من هذا المثال المطبوع تكلف الباخريزي (ت467هـ/ 1074م) مصطلحات تقسيم الفعل من حيث الصحة والاعتلال في الصرف في رسم صورة لغلّام ، فقال⁽¹¹⁸⁾ :

كوى جوفَ قلبي لفٌ صدغٍ مشابهٍ علامةٌ مهموزٍ بمحنيٍّ ظهره
وضاعف أشجاني بسالم جسمه ومعتلٌ عينيه وناقصٌ خصره
وفي قصيدة أخرى ، قال⁽¹¹⁹⁾ :

وطرفكُ معتلٌ وجسمكُ سالمٌ وصدغكُ مهموزٌ وخصرُكُ ناقصٌ

لقد ضاعت الصورة الأدبية بين هذه المصطلحات الصرفية ، ولو جاء الشاعر بالكلام على حقيقته لكان أوضح وأسهل ، فقد جفت عاطفة الغزل من هذه الأبيات بسبب اصطناع المصطلحات غير المناسبة لهذا الموضوع .

- زيد وعمرو :

زيد وعمرو ليسا من أبواب النحو والصرف ، ولكنهما أشهر اسمين يضرب بهما النحاة الأمثلة التعليمية التوضيحية لأسباب مختلفة ؛⁽¹²⁰⁾ فمحمود

سامي البارودي عندما اراد أن يعبر عن الحرية غير المقيدة بضوابط ، قال⁽¹²¹⁾ :

فخذُ في أفانين الخلاعةِ والصِّبا ودعني من زيد النحاةِ ومن عمرو

لأنّ النحاة يضبطون اللغة بهذين الاسمين ، ولهذا رأى البارودي فيهما رمزين للقيود .

أما شرف الدين الأنصاري فكان قد قال في مدح الملك الناصر صلاح الدين⁽¹²²⁾ :

وأمتنا في كل نحوٍ من الأذى فلم يسطُ في التمثيلِ زيدٌ على عمرو

في إشارة إلى أن عدل صلاح الدين أثمر عن الأمان للجميع حتى إن الأسماء المجردة غير المقصود بها أمراً محدداً أصبحت آمنة ؛ فـ (زيد) لم يعد يضربُ (عمراً) كما هي عادة النحاة إذ يقولون : (ضرب زيد عمراً) . وقد تحول (زيد) و(عمرو) إلى شخصيتين اعتباريتين في الثقافة العربية الأدبية واللغوية والتاريخية ، لهذا خلع عليهما بعض الشعراء صفات الأحياء الحقيقيين ، فقال ابن نباتة في رثاء كمال الدين الزملكاني النحوي⁽¹²³⁾ :

وأرى النحوَ واجماً ليس منه قلبُ زيدٍ وقلب عمرو بخالٍ

2- الأبعاد

- التطور التاريخي :

كان أبو تمام (ت231هـ / 845م) أقدم من ظهر عنده المصطلح النحوي بمعناه الاصطلاحي ضمن الشعراء الذين عرضنا شيئاً من أشعارهم ، لهذا نميل إلى أنه أول من استفاد من المصطلح النحوي في تشكيل الصورة الشعرية ، ثم حذا حذوه عدد من شعراء القرن الرابع الهجري ، مثل المتنبي (ت354هـ / 965م) وكشاجم (ت360هـ / 1262م) والسلامي (ت393هـ / 1002م) ، ولكن الظاهرة عندهم بقيت محدودة الاستعمال لا تكاد تتجاوز بضعة أبيات ، حتى إذا وصلنا إلى القرن الخامس وجدنا تطوراً واضحاً من حيث عدد الأبيات عند

بعض شعراء القرن الخامس ، ولا سيما المعري (ت449هـ / 1057م) . لهذا أصاب شوقي ضيف في تحديد دور المعري في استعمال مصطلحات العلوم ومنها النحو ، فقال : لعله أول من وسَّعَ استعارة الشعراء لاصطلاحات العلوم والفنون ، ومن قبله كان المتنبّي يتصنَّع ذلك ، ولكنه لم يسرف فيه إسراف المعري⁽¹²⁴⁾ .

وفي القرن السادس تراوَحُ الظاهرةُ مكانها عند بعض الشعراء مثل الأعمى التطيلي (ت522هـ / 1135م) وابن القيسراني (ت548هـ / 1153م) حتى إذا وصلنا إلى القرن السابع وجدنا ظاهرة استخدام مصطلحات النحو في الشعر ظاهرة عامة بارزة عند معظم شعراء ذلك القرن في المشرق والمغرب ؛ إذ بلغ عدد الذين أفدنا من أشعارهم من شعراء ذلك القرن ثلاثة عشر شاعراً يتفقون في استخدام مصطلحات العلوم ، ومنها النحو لكنهم يختلفون في الكم والدقة النحوية والغرض الشعري ، وهم : ابن الساعاتي (ت604هـ / 1207م) ، وابن سناء الملك (ت608هـ / 1121م) ، وابن عُنين (ت630هـ / 1232م) ، والشوّاء الحلبي (ت635هـ / 1237م) ، وابن سهل الإشبيلي الأندلسي (ت649هـ / 1251م) ، والبهاء زهير (ت656هـ / 1258م) ، وابن قزل (ت656هـ / 1258م) ، وشرف الدين الأنصاري (ت662هـ / 1264م) ، وعلي بن عبدالله (ت667هـ / 1268م) ، وابن مالك (ت672هـ / 1273م) ، والتلعفري (ت675هـ / 1276م) ، والشاب الظريف (ت688هـ / 1289م) ، والبوصيري (ت696هـ / 6921م) .

وجاء في القرن الثامن الهجري امتداداً للقرن السابع في انتشار استخدام مصطلحات العلوم ، ومنها النحو في الشعر العربي ، فقد أفدنا من أشعار ثمانية من شعرائه هم : الوداعي (ت716هـ / 1316م) ، وابن قدس الأرميني (ت722هـ / 1322م) ، وابن حبيب (ت726هـ / 1325م) ، والزييري (ت745هـ / 1344م) ، وأبو حيان الأندلسي (ت745هـ / 1344م) ، وابن الوردي (ت749هـ / 1348م) ، وصفي الدين الحلي (ت752هـ / 1351م) وابن نباتة المصري (ت768هـ / 1366م) .

وبعد القرن الثامن الهجري تقل الأمثلة على استخدام مصطلحات النحو في الشعر مع وجود استثناءات هنا ، وهناك ، منها وجود شواهد على هذه الظاهرة في شعر ابن معتوق الحويزي (ت1087هـ / 1676م) ، ومنها ما قيل في الشاعر عليّ الغراب الصفاقسي (ت11893هـ / 1769م) أنه كان يتصنّع أحياناً لقواعد النحو ، كقوله في مدح علي باي الأول ابن محمد ، وهو القائم بأمر تونس آنذاك ، إذ قال⁽¹²⁵⁾ :

إِذَا رَفَعَ الْأَعْلَامَ فَاجْزَمْ بِفَتْحِهِ لَمَّا أَمَّ وَالْجَمْعُ الصَّحِيحُ يُكْسَرُ

وفي العصر الحديث قلَّ استخدام الشعراء لمصطلحات النحو في الشعر ، وما استُخدم منها فهو محدود لا يشكل ظاهرة ؛ لأنه يرتبط بالمنابع الأدبية والتاريخية والثقافية للعمل الأدبي⁽¹²⁶⁾ ، وهذه المنابع قد توسعت وتعددت وتنوعت ، وطرأت تغيرات كثيرة على الشعر العربي لأسباب مختلفة ليس هذا المقام صالحاً لمناقشتها لئلا نخرج عن مسار دراستنا .

- دلالات التطور التاريخي

إذن ، فقد بدأت ظاهرة استخدام مصطلحات النحو في الشعر - على الأرجح - ابتداءً عند أبي تمام في النصف الأول من القرن الهجري الثالث ، ثم صارت اتباعاً عند بعض الشعراء الذين جاؤوا بعده ، ولا سيما شعراء القرنين السابع والثامن ؛ ذلك أن أبا تمام أراد أن يجرب تشكيل الصورة الشعرية باستعمال المصطلح النحوي ، ثم أصبحت هذه التجربة المبتكرة تقليداً سار عليه بعض الشعراء ، لهذا لا نستطيع أن نساوي بين المبتدع والمتبع في الزمن أو المصطلح أو الصورة ؛ لأن أبا تمام لم يسرف في استعمال المصطلح النحوي إسراف بعض الذين جاؤوا بعده كالمعري ، وابن عُيْن ، وصفيّ الدين الحلّي ، وشرف الدين الأنصاري ، وابن نباتة المصري الذين تحوّل الشعر عندهم إلى سجل ثقافي يستعرضون فيه غالباً معارفهم في اللغة والنحو والصرف وعلم الحديث والمنطق وغير ذلك من معارف عصرهم مع أن المصطلحات محدودة ؛ لهذا كان التقليد في استعمال بعض المصطلحات هبوطاً في مستوى الصورة الشعرية ، فقول المتنبي في مديح سيف الدولة الحمداني⁽¹²⁷⁾ :

إذا كان ما تنويه فعلاً مضارعاً مضى قبل أن تُلقى عليه الجوازُ

ابتداعٌ في استعمال الأبعاد الجمالية للفعل المضارع رفعاً واستقبالاً، وجزماً ودلالة على الماضي، وهذا الابتداع أحسن من تقليد ابن سناء الملك، إذ قال مادحاً⁽¹²⁸⁾:

وكلّ ما ينويه مستقبلاً يمضي ولكن منه بالحزم

فالبيتان على معنى واحد تقريباً، لكنّ بيت المتنبي أجود لبروز دلالة المصطلحات فيه.

ولعلّ بروز ظاهرة استعمال المصطلحات النحوية لدى شعراء القرنين السابع والثامن عائد إلى أن هذين القرنين هما العصر الذهبي الثاني في رأينا لازدهار الدراسات النحوية في تاريخنا الثقافي، ذلك أن العصر الأول كان في القرنين الثالث والرابع، وازدهار الدراسات النحوية يعني كثرة المشتغلين بالنحو، وهذه الكثرة تؤدي إلى شيوع المصطلحات النحوية وتداولها بين الناس ولا سيما أن هذه الظاهرة قد اقترنت بظاهرة المتون النحوية الشعرية كالألفية، والنثرية ككافية ابن الحاجب، وهما متنان يسهل حفظهما على المبتدئين مع أنهما غاصّان بمصطلحات النحو، ولهذا رأى شعراء ذينك القرنين في مصطلحات النحو معادلاً إيضاحياً لأفكارهم الشعرية، فالشاعر يريد تجلية فكرته بصورة أوضح، فإذا كان هذا الأوضح - من وجهة نظره - هو المصطلح النحوي، فاستعماله يصبح بديلاً مشروعاً عن التشبيه بالقمر والمهابة والظبي وغيرها مما تعارفه الشعراء؛ لأن القاموس البلاغي المؤسس على الصحراء تقريباً كان قد أصبح غريباً نسبياً عن البيئات الحضارية الجديدة، فمصطلح المبتدأ مُدركٌ عند عموم الناس أكثر من المهابة التي كان الناس يسمعون عنها وهم في بيئاتهم الحضارية، فإذا أضفنا إلى الإدراك البعد التعليمي صار الانحراف بالنظرية البلاغية نحو القاموس الحضاري المعنوي إلى حد ما أمراً مسوّغاً مقبولاً، من غير أن يعني ذلك غياب التشبيهات الموروثة؛ لأن الشاعر كان ينظر إلى التشبيهات الموروثة على أنها تراث وأصالة، وإلى التشبيهات المستحدثة على أنها تطور وحادثة،

ويكون دوره في الجمع بينهما باتزان ، وهذا الاتزان هو أصعب ما في العملية الشعرية ، يضاف إلى ذلك أن الشاعر يريد أن يمارس حقه الطبيعي في الابتكار ، وبعد الابتكار يكون التقييم النقدي ؛ أي أن العمل الشعري يشبه التجربة العلمية إذا نجحت كانت إبداعاً ، وإذا فشلت كانت محاولة تُغني عن التكرار ، فإذا عرفنا أن الإسراف في استعمال المصطلحات النحوية كان إساءة للصورة الشعرية ، وهبوطاً في مستوى الشعر ، استطعنا أن نفسر نفور الشعراء المحدثين من استعمال هذه المصطلحات وذهابهم إلى منابع جديدة يستقون منها صورهم الشعرية .

وثمة جدل في قياس شيوع ظاهرة استعمال المصطلحات النحوية في شعر القرنين السابع والثامن ، ففي حين يراها عمر موسى باشا كثيرة يراها مسعد العطوي قليلة غير كثيرة⁽¹²⁹⁾ ، وهذا الخلاف لفظي ؛ لأن الكثرة مصطلح لا يرتبط بعدد معين محدد من الأبيات لهذا نتجاوزه بالإقرار بحقيقة وجود هذه الظاهرة في شعر دَينك القرنين .

- المبدع والمتلقي :

من أبعاد هذه الظاهرة أن الثقافة النحوية كانت شرطاً أساساً في بناء الشاعر ، فالشاعر يحتاج إلى دراسة النحو ليحقق لكلماته وتراكيبه شرط السلامة النحوية ؛ لأن الفصاحة كانت تؤخذ أو تصقل بالتعليم ، والتعليم يغرس في عقل المتعلم بعض المصطلحات إضافة إلى أن بعض الشعراء كانوا من النحاة ، مثل المعري المعروف بدراساته اللغوية المتنوعة ، وابن الوردي أحد أئمة النحو في زمانه⁽¹³⁰⁾ ، وأبي حيان الأندلسي أحد أشهر أئمة النحو في تاريخ النحو العربي⁽¹³¹⁾ .

وبعض الشعراء اتصلوا بنحاة مشهورين ودرسوا عليهم وتأثروا بهم ، فالمتنبي كان من الراسخين في علم العربية ، وله مساجلات علمية نحوية ولغوية مع أئمة النحاة في زمانه كأبي علي الفارسي ، وابن خالويه ، وهو صديق حميم لابن جني⁽¹³²⁾ .

وابن سناء الملك تلميذ لابن برّي في النحو⁽¹³³⁾ ، وابن عنين تلميذ لأبي
الثناء محمود بن نعمة في النحو ، وكان يحفظ كتاب الجماهرة لابن دُرَيْد ،
واتصل بفخر الدين الرازي وسمع دروسه في التفسير والنحو والبلاغة⁽¹³⁴⁾ .

وقد أحسن الصفدي (ت776هـ / 1374م) ربط هذه الظاهرة بتكوين
الشاعر الثقافي وفنه ، فقال : وكلّ من عانى النظم ، وغلب عليه فن من الفنون ،
مال به إلى ذلك الفن ، وغلبت عليه قواعده ، واستعملها في مقاصده الشعرية ،
وتخيالات معانيه ، وظهر على ما يرومه اصطلاح ذلك الفن وأحكامه⁽¹³⁵⁾ .

أما المتلقي ، وهو المقول فيه الشعر أو الجمهور المستمع له ، فقد كان لا
يرى في استعمال هذه المصطلحات عيباً ، وقد فسّر خليل مردم شيوع
المصطلحات النحوية في شعر ابن عُنَيْن عند تحقيقه ديوانه بقوله : ولعل ميل
الملك المعظم (عيسى) إلى النحو ، وبصره فيه ، كان يحمل الشاعر على الإلمام به
في شعره على هذا النحو .

ويبدو أن تصنّع المصطلحات في الشعر من ذوق العصر ، فقد قال ياقوت
الحموي في موقف الناس من شعر الباخريزي - وقد عرضنا شيئاً منها - «ولقد
رأيتُ أبناء العصر بأصْفَهان مشغوفين بشعره متيِّمين بسحره⁽¹³⁶⁾» ، ووصف
الصفدي شعر صفّي الدين الحلّي بقوله : «تطربك ألفاظه المصقولة ، ومعانيه
المعسولة ، ومقاصده التي كأنها سهام راشقةٌ وسيوفٌ مسلولة»⁽¹³⁷⁾ .

- الغرض الشعري :

شاع استعمال المصطلحات النحوية في الأغراض الشعرية كلها كالغزل
والمديح والوصف والحكمة والهجاء والزهد والرثاء وغيره من أغراض الشعر ،
لكن ثمة غرضاً شعرياً نحسب أنه يشكل ظاهرة ، وهو رثاء علماء العربية من
النحاة والبلاغيين والنقاد إضافة إلى رثاء الشعراء ، ويحفظ لنا التاريخ قصيدة
جميلة قالها شرف الدين الحصني في رثاء ابن مالك النحوي ، منها⁽¹³⁸⁾ :

يا شتاتَ الأسماء والأفعال بعد موت ابن مالك المفضل
وانحراف الحروف من بعد ضبط منه في الانفصال والإتصال
عُدمَ النعت والتعطف والتو كيدُ مستبدلاً من الإبدال
ألمَ إعتراه أسكنَ منه حركات كانت بغير اعتلال
أدغموه في الترب من غيرِ مثل سالماً من تغيرِ الإنتقال

وقال الصفدي في رثاء شيخه أبي حيان الأندلسي قصيدة طويلة ضمنها
بعض مصطلحات النحو ، منها⁽¹³⁹⁾ :

يا أسفأً كان هدىً ظاهراً فعادَ في تربته مُضمراً
وكان جمعُ الفضل في عصره صحَّ فلما أن قضى كُسراً
وعُرفَ الفضلُ به برهةً والآنَ لما أن مضى نُكراً
وكان ممنوعاً من الصرف لا يطرق من وافته خطبُ عرا
لا بدلٌ عن نعتِهِ بالتقى ففعلُهُ كان له مصدرا

وقال ابن نباتة المصري في رثاء كمال الدين عبدالواحد بن عبدالكريم
الزملكاني ، وهو من النحاة⁽¹⁴⁰⁾ :

كنتَ غوثَ الوجود حقاً ولكن ليس في الناس عنك من إبدال
كنتَ دونَ الأثام عوناً على خو ض حياة لنا بتميز حال
وأرى النحوَ واجماً ليس منه قلبُ زيد وقلب عمرو بخال
قصرتُ في الكلام مرتبةَ الأسماء واعتلَّ سائرُ الأفعال

ومن رثاء الشعراء باستعمال مصطلحات النحو ما رثى به السراجُ الوراق
صديقه الشاعر الجزار بقصيدة ورى فيها باصطلاحات النحو ، كما في قوله⁽¹⁴¹⁾ :

وناحَ النحوُ بعدك فالمعاني لها مع كل نائحة حنان
فلا بدل بخلٍ عنك يرجى ولا عطفٌ لمن غدروا وخانوا
فلا تنجحَ إلى تمييز حال لنا خفضتُ فقد لحن الزمان

وهذه الأبيات فاترة بسبب تصنع مصطلحات النحو .

ويمكن أن نضيف إلى رثاء علماء العربية ظلاً ليس فيه رثاء ولا يشكل ظاهرة لكنه موجود ، وهو مكاتبة علماء العربية ، كقول ابن الدهان الفَرَضِي فيما كتبه إلى زيد بن الحسين النحويّ المعروف بأبي اليُمن الكندي⁽¹⁴²⁾ :

يا زيدُ زادكَ ربي من مواهبه نُعمى يقصّر عن إدراكها الأملُ
لا غيرَ اللهُ حالاً قد حباكَ بها ما دام بين النحاة الحالُ والبَدَلُ
النحو أنتَ أحقُّ العالمينَ به أليس باسمك فيه يُضربُ المثلُ

وكتب صفي الدين الحلّي إلى مهذب الدين محمود بن يحيى النحويّ الحلّي قائلاً⁽¹⁴³⁾ :

وكذا اقتفيتَ من القوافي إثرها فأطاعك المقصورُ والمهموزُ
وضربتَ نحوَ النحوِ همّةً أوحدٍ أضحى له في حاله تمييزُ

يبدو استعمال مصطلحات النحو في رثاء علماء العربية أو الكتابة إليهم مسوّغاً مقبولاً لأن هذه المصطلحات تبرز علم المراثي وفنّه .

- سلامة دلالة المصطلح :

يبدو أن بعض الشعراء لم يكونوا على وعي تام بدلالة بعض مصطلحات النحو ، فجاءت المصطلحات حليةً لفظيةً منحرفة عن معناها الاصطلاحي ليس على سبيل الإيحاء ، بل على سبيل الخطأ النحوي ، كما في قول الشاب الظريف⁽¹⁴⁴⁾ :

يا ساكناً قلبي المعنّى وليس فيه سواء ثاني
لأيّ معنى كسرت قلبي وما التقى فيه ساكنان

قال ابن حجة الحموي : أما البيتان فإنهما في غاية اللطف ، ولكن أوردوا عليهما أيضاً إيراداً حسناً ، وهو أن الساكنين إذا اجتمعا كُسر أحدهما ، وهو الأول ، وكلامه في البيتين أن المكسور غير الاثنين⁽¹⁴⁵⁾ ؛ لأنه أقرّ في البيت الأول بوجود ساكنين هما الشاعر والمحبوبة ، وفي البيت الثاني نفى التقاء الساكنين فيكون قد نفى التقاء الساكنين .

ومرّ بنا في المفعولات عند الحديث عن مصطلحات النداء أن ابن قزل خلط بين المنادى النكرة المقصودة وغير المقصودة .

- النظرية البلاغية :

مع أن ابن حجة الحموي سلك ظاهرة استخدام مصطلحات العلوم في الشعر ضمن باب الاقتباس في البديع ، لا يعني ذلك أن هذه الظاهرة محصورة بعلم البديع ، ذلك أنه ينشأ من اقتباس المصطلح تشبيه أو مقابلة أو جناس أو طباق أو ما شابه ، فيكون الشعراء قد أقاموا انفصلاً بين ركني النظرية البلاغية الفكرة والصورة البلاغية الموضحة لها بياناً أو بديعاً ؛ أي أن الصورة البلاغية لم تقم على الامتزاج مع الفكرة ، بل ظلّت عالماً منفصلاً عن عالم الفكرة⁽¹⁴⁶⁾ وإن كان قريباً منه في الشبه أو الجناس أو الطباق ، فالبهاء زهير يجد في الاسم الموصول وصلته وعائده صورة موازية لصورته ، فيقول⁽¹⁴⁷⁾ :

فمُتْ كمدأ يا حاسدي فأنا الذي له صلة ممن يحبُّ وعائدُ

وهذه الصورة المقتبسة من النحو منفصلة بذاتها عن الشاعر ، لكنها متحدة معه في دلالتها ؛ أي أن الشعراء استعاروا دلالة المصطلحات النحوية وعلاقاتها إلى عالمهم ، وهذه الدلالة نسبية سمحت لبعض الشعراء أن يتدخلوا فيها ليشكلوا دلالة إيحائية جديدة للمصطلح النحوي ، فابن أبي الأصبع يقول متغزلاً⁽¹⁴⁸⁾ :

أيا قمرأ من حُسْن وجنته لنا وظلّ عذاريه الضحى والأصائل
جعلتك للتمييز نصباً لناظري فهلا رفعتَ الهجرَ فالهجر فاعل

فمصطلحات التمييز والنصب والرفع والفاعل مصطلحات تدخل الشاعر في تشكيل دلالتها ، ذلك أنه يطلب إلى المحبوبة أن ترفع (تبعد) عنه الهجر ؛ لأن الهجر فاعل (سبب) عدم قدرته على تمييزها ؛ لأنه جعلها نصب عينيه فالهجر فاعل يحول دون أن يميّزها أمامه .

إذن ، فالشعراء استخدموا المصطلحات النحوية بظّل جديد يضاف إلى

المعنى الأصلي لكنه لا ينفصل عنه تمام الانفصال⁽¹⁴⁹⁾ وهو ما يُعرف بـ (التوجيه) كقول صفي الدين الحلّي في وصف رياض دمشق⁽¹⁵⁰⁾ :

سَلْ بَانَةَ المنصوبِ أين حديثه السمرْفُوعُ عن ذيل الصبا المجرورِ

فكلمة (المنصوب) إشارة إلى أن كلمة (بانة) قبلها منصوبة ، وكلمة (المرفوع) إشارة إلى أن كلمة (حديثه) قبلها مرفوعة ، وكلمة (المجرور) إشارة إلى أن كلمة (الصبا) قبلها مجرورة ، وهذا اللون من التوجيه قريب من التورية حتى عدّه ابن حجّه منها .

وقد يأتي المصطلح النحوي جناساً كقول ابن معصوم (ت1117هـ/ 1705م)⁽¹⁵¹⁾ :

لو أَبَانَتْ حجابَهَا أسماءُ ما أَبَانَتْ عن غيرها الأسماءُ

ف (أسماء) الأولى عَلم دال على المرأة ، والثانية مصطلح نحوي .

وكيف دار الأمر فالتورية هي الأكثر والأجمل في استخدام الشعراء لمصطلحات النحو ، فقد قال ابن الوردي في إجازة كتبها للقاضي يوسف بن محمد الفيومي⁽¹⁵²⁾ :

«يوسفُ أعرَضَ» ما الذي تبغِي من عمر المعدولِ من عامرٍ

فالقاضي اسمه يوسف لكنه اقتبس النصّ القرآنيّ ، وورّى بكلمة (عمر) لأنه هو نفسه ، فاسمه عمر بن الوردي ، وهو ممنوع من الصرف كما أن يوسف ممنوع من الصرف .

- تعليم النحو وتيسيره :

ذهب عمر موسى باشا إلى أن استعمال مصطلحات النحو وقواعده في الشعر أضفى على هذه القواعد ثوباً جديداً لا ييلى مع الزمن ؛ لأنه أخرجها من جمودها القاعدي وأبرزها في هذا الثوب الرمزي القشيب ، وكأنا فجر ينبوع الشعر من هذه الجلامد النحوية⁽¹⁵³⁾ .

وأيد ياسين الأيوبي مذهب عمر موسى باشا ؛ لأن ظاهرة المصطلحات النحوية في الشعر أضفت على الدرس النحوي عامل تشويق وترغيب ، وأصبحت عنصراً مهماً من عناصر التعبير الأدبي الجميل وهو ما يشكل خدمة للعربية وقرأتها ومتعاً فنيةً ونفسيةً لا يُستهان بها⁽¹⁵⁴⁾ .

فيل إلى أن استعمال مصطلحات النحو في الشعر ليس منحى تعليمياً عند عامة الشعراء باستثناء النحاة منهم كأبي حيان الأندلسي ، وابن الوردي . أما سائر الشعراء فإن تعليم النحو ليس من مقصدهم ، عدا أن المصطلحات وحدّها لا تكفي لتعليم النحو أو تيسيره ؛ لهذا نرجح أن يكون شيوع هذه المصطلحات في شعر القرن السابع والثامن الهجريين صورة لازدهار الدرس النحوي آنذاك من جهة ، ورغبة من الشعراء بتجريب تشكيل جديد نسبياً للصورة الشعرية ، أما أن يكون ابن نباتة مثلاً - كما يقول عمر موسى باشا - يبغي من هذا الاستخدام الإفلاح⁽¹⁵⁵⁾ فبعيد ؛ لأن شعر ابن نباتة غاصُّ بمصطلحات الفقه والحديث والمنطق وغيرها من العلوم ، فهل كان ابن نباتة يبغي تيسير هذه العلوم كلها؟ !

أما عند الشعراء النحاة ، فالأمر ممكن ، فابن الوردي يشرح المبتدأ والخبر في حكاية جميلة إذ قال⁽¹⁵⁶⁾ :

وأغيد يسألني ما المبتدأ والخبرُ
مثلهما لي مُسرِعاً فقلتُ أنتِ القمرُ

فهذا التوجيه الجميل في جملة (أنت القمر) إجابة للسؤال عن المبتدأ والخبر لكن لا نظن أن هذا المثال يُغني عن التفصيل .

ولابن الوردي قصيدة ضمّنها بعض أبيات ملحّة الإعراب للحريري منها قوله⁽¹⁵⁷⁾ :

الخدّ والقوامُ منه فاعلُ نحو جرى الماءُ وجارَ العاملُ
أفعاله تكسرني ذا عَجَبُ وكلّ فعلٍ متعدٍّ ينصبُ

وهي محاولة في تقديم النحو بقالب شعري يتعد عن دقة المتون الشعرية ؛ كمتن ابن معط وابن مالك ، ويقترب من عالم الشعر الحقيقي بأخيلته وصوره ، فلا هو شعر تعليمي ولا هو شعر حقيقي الأبعاد ، لكن هذه المحاولة لا نعدّها تسهلاً للنحو العربي ، ولكنها تجربة في تقديم النحو من نحوي يعاني فنّ الشعر كما يعاني صنعة النحو .

وفتح شوقي ضيف استفهاماً دقيقاً عندما قال : وهل حقاً يمكن أن تُفسّر هذه الفنون ومصطلحاتها مشاكلنا؟ إنها مملوءة بكثير من المشاكل التي تحتاج هي الأخرى إلى ما يفسرها؟⁽¹⁵⁸⁾ .

فالهدف التعليمي وإن قصد إليه بعض الشعراء النحاة غير ناجح ، فليست التورية والمقابلة والإرصاد والتشبيه طرائق مُوصلة إلى فهم النحو ؛ لأنها هي نفسها تحتاج إلى فهم .

- موقف النقاد :

لم يتفق النقاد قديماً ولا حديثاً على رأي واحد تجاه استعمال مصطلحات العلوم ومنها النحو في الشعر ، فإن سنان الخفاجي (ت466هـ / 1073م) يحذّر من استعمال مصطلح العلوم في الشعر ، فيقول : ومن وضع الألفاظ موضعها ألا يُستعمل في الشعر المنظوم والكلام المنشور من الرسائل والخطب ألفاظ المتكلمين والنحويين والمهندسين ومعانيهم ، والألفاظ التي يختص بها أهل المهن والعلوم⁽¹⁵⁹⁾ ، ثم ذكر أربعة أمثلة أساءت إلى الصورة الشعرية فيها مصطلحات العلوم ، منها ثلاثة أمثلة لمصطلحات النحو والصرف⁽¹⁶⁰⁾ ، ثم تنبه إلى توسع المعري في استعمال مصطلحات النحو والصرف واللغة بشكل عام ، وعلل هذا المنحى عنده باشتغاله باللغة حتى إن رسائله معدودة في كتب اللغة⁽¹⁶¹⁾ .

وتتبع حازم القرطاجني (ت684هـ / 1285م) موقف النقاد السابقين عليه تجاه هذه الظاهرة فقال : البُصراء بهذه الصناعة كأبي الفرج قدامة وأضرابه قد نص جميعهم على قبح إيراد المعاني العلمية والصناعية والعبارات المصطلح عليها

في جميع ذلك ، ونهوا عن إيراد جميع ذلك في الشعر⁽¹⁶²⁾ ، وعلل هذا الاستقبح بأن الجمهور «لا يمكنهم تعرف المسائل العلمية ومصطلحاتها ؛ لأنها متعلقة بإدراك الذهن لها ، وليس الحسن والقبح والغرابة واضحاً فيها وضوحه فيما يتعلق بالحس ، وإيضاً فإن المعاني التي تتعلق بإدراك الحس هي التي تدور عليها مقاصد الشعر ، وتكون مذكورة فيه لأنفسها ، والمعاني المتعلقة بإدراك الذهن ليس لمقاصد الشعر حولها مدار ، وإنما تُذكر بحسب التبعية للمتعلقة بإدراك الحس لتجعل أمثلة لها ، أو ينظر حكمٌ في تلك بحكم في هذه ، فيكون التمثيل والتنظير فيها من قبيل تمثيل الأشهر بالأخفى وتنظير الأظهر بالأخفى ، وأيضاً فإن المسائل العلمية يستبرد إيراها في الشعر أكثر الناس ، ولا يستطيب وقوعها فيه إلا من صار من شدة ولوعه بعلم ما بحيث يتشوّف إلى ذكر مسائل ذلك العلم ، وإنما يورد المعاني العلمية في كلامه من يريد التمويه بأنه شاعر عالم»⁽¹⁶³⁾ .

لكن معظم النقاد المتأخرين بعد القرن السابع كالعلوي اليمني والقلقشندي وابن حجة الحموي والنواجي استحسّنوا هذا الاستعمال ، وعدّوه لوناً حسناً في الشعر استظرافاً منهم له ، وإدلالاً بعلمهم فيه ، أو اختصاراً للمراسلات عن طريق المقطوعات الشعرية المتضمنة للمصطلحات العلمية ؛ لأن هذا الاتجاه كان راجحاً لا مرجوحاً في عصرهم⁽¹⁶⁴⁾ .

وفي هذا الكلام اتهام لنقاد ذلك العصر بأنهم كانوا يتبعون الشعراء فيما استحسّنوا أكثر مما كانوا يتبعون أسس النقد وقواعده السليمة ، فجاء نقدهم مرآة لشعر ذلك العصر ، وهذا يفسر تساوي منهج الرضا النقدي عن استعمال المصطلحات العلمية في الشعر مع ازدهار هذا الاستعمال من القرن السابع الهجري .

وتبدو نظرة حازم القرطاجني أكثر علمية وأقرب إلى روح الشعر ومقاصده ؛ لأن الإكثار من استعمال المصطلحات انحرفٌ عن صنعة الشعر ؛ فقد لا يكون المتلقي على علم بهذه المصطلحات ، وهذه أبيات لصفي الدين الحلّي في مديح الملك المنصور الصالح شمس الدين أبي المكارم يصف فيها مجلسه

وبهنته بعيد الفطر ، جاء فيها بعدد من مصطلحات النحو جعلت من القصيدة متناً يحتاج إلى نحويّ ليشرح مصطلحاتها للملك الصالح والمتلقين عامة ، منها قوله (165) :

والريحُ قد أطلقتُ فَضْلَ العنان به	والغصنُ ما بين تقديم وتأخير
في روضة نُصبتُ أَغصانُها وَغدا	ذيلُ الصبا بين مرفوعٍ ومجرورٍ
والماء ما بين مصروفٍ وممتنع	والظلُّ ما بين ممدودٍ ومقصورٍ
قد جُمِعتَ جمعَ تصحيح جوائِبُها	والماءُ يُجمَعُ فيها جَمْعَ تكسيرٍ
من كلِّ مائِسة الأعطاف من فرح	مقسومة بين تأنيثٍ وتذكيرٍ
وتعرب الرقص من لحن فتلحقه	ما يلحق النحو من حذفٍ وتقديرٍ
إنَّ هَمَّ بالجوود لم تنظر عِزائمه	في فعله بين تقديم وتأخيرٍ
فضيلة نقصت قدري زيادتها	كالاسم زادت به ياء لتصغيرٍ

فالشاعر استحضر مصطلحات النحو كأنها شمس يعرفها الناس كافة ، أو قمر لا يخفى على أحد .

وعاف دارسو الشعر الأيوبيّ والمملوكي والعثماني هذه الظاهرة ، ورأوا فيها سطحية وجموداً للغة الشعر وإجداباً في التفكير الفني عند الشعراء ، وعجزاً في لغة الشاعر ، وازدواجاً في التعبير ، وبعداً عن رسالة الشعر كـ«محمد التونجي» ، ورائد عبدالرحيم ، وشوقي ضيف ، وبكري شيخ أمين (166) .

أما ياسين الأيوبي فقد مال إلى استحسان هذا الاستعمال ، فقال : فإذا بنا أمام نمط جديد من الإعراب ما تعودنا عليه ، ولكنه اللغة الحقيقية التي ينطلق منها هذا المصطلح أو ذاك (167) .

وجماع القول أن استعمال مصطلح علمي في الشعر مقبول إن جاء غير متكلف ، وكان في شيوعه ما يجعله حاضراً عند المتلقين ، أما الإكثار من استعمال المصطلحات أو استعمال الغريب غير الشائع منها في الشعر فمرفوض ؛ لأنه عاجز عن تأدية الغرض من استعماله وهو الإيضاح الجمالي ، ولا سيما أن المدرك بالذهن غالباً ما يتسم بالخصوص والنسبية ، لأنه يختص بعلم محدد

وأناس محدودين قادرين على إدراكه ، ثم هو بعد ذلك نسبي الإدراك بينهم تبعاً للمقدرة العقلية على الفهم والتوجيه ، على حين يتسم المدرك بالحس بالعموم والبساطة فيكون أسرع في الوصول إلى ذهن المتلقي .

الهوامش والمراجع

- (1) ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزي : مج 1، تحقيق : محمد عبده عزام ، القاهرة : دار المعارف ، 1964م ، ص 29 .
- (2) ابن برّهان العبري ، عبدالواحد بن علي (ت456هـ / 1063م) : شرح اللمع
- (3) انظر : عبدالله التطاوي : ثقافة أبي تمام من شعره ، القاهرة : مكتبة غريب ، 1984م ، ص 134 .
- (4) ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزي ، ص 29 .
- (5) انظر : ابن خلكان ، أحمد بن محمد : وفيات الأعيان ، تحقيق : إحسان عباس ، بيروت : دار الثقافة ، ج 7 ، ص 234 .
- (6) ديوان صفّي الدين الحلّي ، بيروت : دار صادر ، ص 19 .
- (7) ديوان ابن عنين ، تحقيق : خليل مردم بك ، بيروت : دار صادر ، ط 2 ، ص 92 .
- (8) ديوان ابن الوردي ، تحقيق : أحمد فوزي الهيب ، الكويت : دار القلم ، ط 1 1986م ، ص 257 .
- (9) انظر : الفن ومذاهبه في الشعر العربي ، شوقي ضيف ، القاهرة : دار المعارف ، ط 10 ، ص 290 - 291 ، 404 .
- (10) انظر : مطالعات في الشعر المملوكي والعثماني ، بكري شيخ أمين ، بيروت : دار الشروق ، ط 1 ، 1972م ، ص 317 - 322 .
- (11) انظر : عبده عبدالعزيز قلقيلة : النقد الأدبي في العصر المملوكي ، القاهرة : دار الفكر العربي ، ط 2 ، 1991م ، ص 264 - 267 . محمد ألتونجي : والتيارات الأدبية إبان الزحف المغولي ، دمشق : دار طلاس ، ط 1 ، 1987م ، ص 466 - 467 .
- (12) انظر : عمر موسى باشا : ابن نباتة المصري : أمير شعراء المشرق ، القاهرة : دار المعارف ، 1992م ، ص 429 - 432 ، وصفّي الدين الحلّي : حياته وآثاره وشعره ، محمد إبراهيم حور ، دمشق : دار الفكر المعاصر ، ودار الفكر ، ط 2 ، 1990م ، ص 42 - 43 .
- (13) ياسين الأيوبي ، آفاق الشعر العربي في العصر المملوكي ، لبنان : بروس برس ، ط 1 ، 1995م ، ص 423 - 428 . والاتجاهات الفنية في الشعر إبان الحروب الصليبية ، مسعد بن عيد العطوي ، الرياض : مكتبة التوبة ، ط 1 ، 1995م ، ص 479 - 480 .
- (14) عمر موسى باشا ، الأدب في بلاد الشام - عصور الزنكيين والأيوبيين والمماليك ، دمشق : دار الفكر المعاصر ودار الفكر ، ط 1 ، 1989م ، ص 460 - 462 ، 697 - 699 ، ومواضع أخرى في دراسة بعض الشعراء . والحركة الشعرية زمن المماليك في حلب الشهباء ، أحمد فوزي الهيب ، بيروت : مؤسسة الرسالة ، ط 1 ، 1986م ، ص 425 .

- (15) حتى في كتاب سيبويه يعدّ استقرار المصطلحات أمر نسبياً . انظر : سيبويه إمام النحاة ، علي النجدي ناصف ، القاهرة : عالم الكتب ، ط 2 ، 1979م ، ص 171 - 175 .
- (16) ديوان عبيد بن الأبرص ، بيروت : دار صادر ، 1964م ، ص 125 .
- (17) ميمون بن قيس ، ديوان الأعشى الكبير ، شرح وتحقيق : محمد محمد حسين ، بيروت : دار النهضة الحديثة ، 1974م ، ص 235 .
- (18) صنعة أبي سعيد السكري : ديوان كعب بن زهير ، تحقيق : مفيد قميحة ، الرياض : دار الشواف ، ط 1 ، 1989م ، ص 114 .
- (19) ديوان عبيدالله بن قيس الرقيات ، تحقيق : محمد يوسف نجم ، بيروت : دار صادر ، ص 164 .
- (20) أبو العلاء المعري ، أحمد بن عبدالله (ت449هـ / 1057م) : ديوان سقط الزند ، شرح وضبط : عمر فاروق الطباع ، بيروت : دار الأرقم ، ط 1 ، 1998م ، ص 227 .
- (21) ديوان محمود سامي البارودي ، شرح : علي عبدالمقصود عبدالرحيم ، بيروت : دار الجليل ، ط 1 ، 1995م ، ص 423 .
- (22) محمد بن سلطان الدمشقي (ت473هـ / 1080م) : ديوان ابن حيّوس ، تحقيق : خليل مردم بك ، دمشق : مطبوعات المجمع العلمي العربي ، 1951م ، ج 2 ، ص 438 .
- (23) انظر متن الألفية في كتاب مجموع مهمات المتون ، بيروت : دار الكتب العلمية ، ص 209 - 254 والبيت في ص 219 . وفي هذا الكتاب مجموعة متون شعرية أخرى في النحو كمنظومة الشبراوي والقطار .
- (24) ديوان ابن عنين ، ص 117 .
- (25) انظر في اساليب ترتيب أبواب النحو العربي : حسن خميس الملخ : التفكير العلمي في النحو العربي ، عمان : دار الشروق ، ط 1 ، 2002م ، ص 148 - 154 .
- (26) انظر : رولان بارت : هسهسة اللغة ، ترجمة : منذر العياشي ، حلب : مركز الإنماء الحضاري ، ط 1 ، 1991م ، ص 17 - 18 .
- (27) هسهسة اللغة ، ص 343 .
- (28) عمرو بن عثمان (ت179هـ / 795م) : سيبويه الكتاب ، تحقيق : عبدالسلام محمد هارون ، بيروت : دار الجليل ، ط 1 ، 1991م ، ج 1 ، ص 12 .
- (29) ديوان سقط الزند ، ص 269 .
- (30) ديوان صفى الدين الحلبي ، ص 636 .
- (31) انظر : العكبري عبدالله بن الحسين : التبيين عن مذاهب النحويين ، تحقيق : عبدالرحمن العثيمين ، الرياض : مكتبة العبيكان ، ط 1 ، 2000م ، ص 145 .
- (32) ابن نباتة المصري ، أمير شعراء المشرق ، ص 377 .
- (33) انظر : التفكير العلمي في النحو العربي ، ص 113 - 116 .
- (34) محمد بن يوسف (ت745هـ / 1344م) : ديوان أبي حيان الأندلسي ، تحقيق : أحمد مطلوب وخديجة الحديثي ، بغداد : مطبعة العاني ، ط 1 ، 1969م ، ص 166 .
- (35) أبو العلاء المعري ، اللزوميات ، تحقيق : عمر الطباع ، بيروت : دار الأرقم ، ج 2 ، ص 195 .

- (36) انظر : ابن الأثيري ، عبدالرحمن بن محمد (ت577هـ / 1181م) : أسرار العربية ، تحقيق : محمد حسين شمس الدين ، بيروت : دار الكتب العلمية ، ط 1 ، 1997م ، ص 32 ، 34 .
- (37) ديوان ابن عُثَيْن ، ص 117 .
- (38) ديوان شرف الدين الأنصاري ، تحقيق : عمر موسى باشا ، دمشق : مطبوعات مجمع اللغة العربية ، 1967م ، ص 169 .
- (39) ديوان شرف الدين الأنصاري ، ص 215 - 216 .
- (40) ديوان صفى الدين الحلي ، ص 293 .
- (41) انظر : الأدب في بلاد الشام ، ص 430 .
- (42) انظر : ابن الوردي : تمة المختصر في أخبار البشر ، تحقيق : أحمد رفعت البداروي ، بيروت : دار المعرفة ، ط 1 ، 1971م ، ج 2 ، ص 321 .
- (43) ديوان شرف الدين الأنصاري ، ص 199 .
- (44) ديوان ابن عُثَيْن ، ص 37 .
- (45) ديوان صفى الدين الحلي ، ص 599 .
- (46) ديوان شرف الدين الأنصاري ، ص 228 .
- (47) ديوان صفى الدين الحلي ، ص 599 .
- (48) ديوان البوصيري ، تحقيق : محمد سعيد كيلاني ، مصر : مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، ط 1 ، 1955م ، ص 203 .
- (49) ديوان ابن معتوق ، شهاب الدين الموسوي ، ضبط سعيد الشرتوني ، بيروت : المكتبة الوطنية ، 1885م ، ص 10 .
- (50) انظر : السيوطي ، جلال الدين (ت911هـ / 1505م) بغية الوعاة في طبقات اللغوين والنحاة ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، بيروت : المكتبة العصرية ، ج 2 ، ص 170 .
- (51) انظر : آفاق الشعر العربي في العصر المملوكي ، ص 428 .
- (52) انظر : أبو حيان الأندلسي ، محمد بن يوسف (ت745هـ / 1344م) : ارتشاف الضرب من لسان العرب ، تحقيق : رجب عثمان ، القاهرة : مكتبة الخانجي ، ط 1 ، 1998م ، ج 4 ، ص 1931 .
- (53) انظر : الصفدي ، صلاح الدين خليل بن أيبك (ت776هـ / 1374م) : الوافي بالوفيات ، تحقيق : أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى ، بيروت : دار إحياء التراث العربي ، ط 1 ، 2000م ، ج 3 ، ص 258 .
- (54) انظر : ديوان ابن عُثَيْن ، ص 92 . وعبدالصمد بن بابك : شاعر الحنين والغربة ، ضياء خضير ، الأردن : دار الباقوت ، ط 1 ، 2001م ، ص 133 . والغيث المسحوم في شرح لامية المعجم ، الصفدي ، خليل بن أيبك (ت764هـ / 1362م) ، بيروت : دار الكتب العلمية ، ج 1 ، ص 182 - 183 .
- (55) ديوان أبي حيان الأندلسي ، ص 168 .
- (56) ديوان صفى الدين الحلي ، ص 137 .
- (57) انظر : ابن حجة الحموي ، تقي الدين علي (ت837هـ / 1433م) : خزانة الأدب وغاية الأرب ، تحقيق : عصام شعيثو ، بيروت : دار ومكتبة الهلال ، ط 2 ، 1991م ، ج 2 ، ص 118 .

- (58) انظر : ابن مالك ، محمد بن عبدالله (ت 672هـ / 1273م) : شرح التسهيل ، تحقيق : محمد عبدالقادر عطا وطارق فتحي السيد ، بيروت : دار الكتب العلمية ، ط 1 ، 2001م ، ج 1 ، ص 246 - 249 .
- (59) انظر : خزانة الأدب ، ج 2 ، ص 477 .
- (60) ديوان ابن عُنَيْن ، ص 124 .
- (61) ديوان ابن الوردي ، ص 452 .
- (62) خزانة الأدب ، ج 2 ، ص 276 .
- (63) ديوان ابن الوردي ، ص 487 .
- (64) شهاب الدين (ت 675هـ / 1277م) ، ديوان التلعفري ، تحقيق ودراسة : هنرييت الصايغ ، رسالة ماجستير ، جامعة القاهرة ، 1976م ، ص 302 - 303 .
- (65) انظر : الحياة الأدبية في الشام في القرن الخامس الهجري ، عبد الجليل حسن عبدالمهدي ، عمان : مكتبة الأقصى ، ط 1 ، 1977م ، ص 381 .
- (66) ديوان ابن عُنَيْن ، ص 92 .
- (67) انظر : الخضري ، محمد بن مصطفى الدمياطي (ت 1287هـ / 1870م) ، حاشية الخضري على شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ، تحقيق : يوسف البقاعي ، بيروت : دار الفكر ، 1995م ، ج 1 ، ص 187 .
- (68) شعر ابن القيسراني ، محمد بن نصر (ت 548هـ / 1153م) ، جمع وتحقيق : عادل جابر ، الزرقاء : الوكالة العربية ، ط 1 ، 1991م ، ص 333 .
- (69) ديوان شرف الدين الأنصاري ، ص 404 .
- (70) انظر : الأدب في بلاد الشام ، ص 699 .
- (71) ديوان ابن عُنَيْن ، ص 123 .
- (72) ديوان ابن عُنَيْن ، ص 124 .
- (73) الأعمال الكاملة ، نزار قباني ، بيروت : منشورات نزار قباني ، ط 15 ، مج 1 ، ص 438 .
- (74) انظر : الوافي بالوفيات ، ج 8 ، ص 66 .
- (75) ديوان ابن نباتة المصري ، ص 76 .
- (76) انظر : الوافي بالوفيات ، ج 21 ، ص 237 .
- (77) ديوان شرف الدين الأنصاري ، ص 71 .
- (78) ديوان صفى الدين الحلبي ، ص 368 .
- (79) انظر : ابن حجة الحموي شاعراً وناقداً ، محمود الربداوي ، دمشق : دار قتيبة ، 1982م ، ص 170 .
- (80) اللزوميات ، ج 2 ، ص 389 .
- (81) اللزوميات ، ج 2 ، ص 288 .
- (82) ديوان ابن عُنَيْن ، ص 124 .
- (83) ديوان صفى الدين الحلبي ، ص 416 .

- (84) انظر : الحركة الشعرية زمن المماليك في حلب ، ص 425 .
- (85) انظر : ابن حجر العسقلاني ، أحمد بن علي (ت 852هـ / 1448م) : الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ، ضبطه : عبدالوارث محمد علي ، بيروت : دار الكتب العلمية ، ط 1 ، 1997م ، مج 2 ، ص 94 .
- (86) الأعمال الكاملة لنزار قباني ، ج 1 ، ص 799 .
- (87) ديوان ابن الوردي ، ص 203 .
- (88) ديوان ابن نباتة المصري ، ص 496 .
- (89) انظر : ابن حجة الحموي شاعراً وناقداً ، ص 170 .
- (90) هبة الله بن جعفر (ت 608هـ / 1212م) : ديوان ابن سناء الملك ، تصحيح : محمد عبدالحق ، حيدرآباد : مجلس دائرة المعارف ، 1958م ، ص 487 .
- (91) أحمد بن عبدالله (ت 525هـ / 1130م) : ديوان الأعمى التطيلي ، تحقيق : احسان عباس ، بيروت : دار الثقافة ، ص 112 .
- (92) ديوان ابن سهل الأندلسي (ت 649هـ / 1251م) ، تحقيق : محمد قوبعة ، تونس ، 1985م ، ص 94 .
- (93) الأعمال الكاملة لنزار قباني ، ج 1 ، ص 771 .
- (94) ديوان ابن عَنِين ، ص 229 .
- (95) انظر : خزانة الأدب ، ج 2 ، ص 476 - 477 .
- (96) انظر : خزانة الأدب ، ج 2 ، ص 476 .
- (97) ديوان ابن الوردي ، ص 247 .
- (98) انظر : شرح ديوان أبي الطيب المتنبي ، أبو العلاء المعري ، تحقيق : عبدالمجيد دياب ، القاهرة : دار المعارف ، ط 2 ، 1992م ، ج 3 ، ص 224 .
- (99) ابن الإفليلي ، إبراهيم بن محمد الأندلسي (ت 441هـ / 1049م) ، شرح شعر المتنبي ، دراسة وتحقيق : مصطفى عليان ، بيروت : مؤسسة الرسالة ، ط 2 ، 1998م ، ج 2 ، ص 250 .
- (100) العكبري ، أبو البقاء محب الدين (ت 616هـ / 1219م) : شرح ديوان أبي الطيب المتنبي ، ضبط : مصطفى السقا وزميله ، بيروت : دار المعرفة ، ج 3 ، ص 383 .
- (101) انظر : شعر ابن القيسراني ، ص 379 .
- (102) ديوان المتنبي بشرح أبي العلاء المعري ، ص 242 .
- (103) شرح ديوان أبي الطيب المتنبي ، ص 210 .
- (104) خزانة الأدب ، ص 475 .
- (105) الأعمال الكاملة لنزار قباني ، ج 1 ، ص 385 . وانظر الصورة نفسها ، ص 358 .
- (106) ديوان صفي الدين الحلي ، ص 284 .
- (107) اللزوميات ، ج 1 ، ص 275 .
- (108) الوقف في الألفية بعد التصغير والنسب لكننا قدمناه ؛ لأننا نرى أن الوقف تنمة النحو والتصغير بداية الصرف .

- (109) محمد بن عفيف التلمساني (ت688هـ / 1289م) : ديوان الشاب الظريف ، تحقيق : شاكر هادي ، مطبعة النجف ، 1967م ، ص 70 .
- (110) بهاء الدين زهير بن محمد (ت656هـ / 1289م) : ديوان البهاء زهير ، بيروت : دار صادر ، 1964م ، ص 131 .
- (111) اللزوميات ، ج 1 ، ص 297 .
- (112) ديوان ابن معتوق ، ص 56 .
- (113) محمود بن الحسين (ت350هـ / 961م) : ديوان كشاجم ، تحقيق : خيرية محمد محفوظ ، بغداد : وزارة الإعلام ، 1970م ، ص 432 .
- (114) ديوان أبي حيان الأندلسي ، ص 252 .
- (115) اللزوميات ، ج 1 ، ص 335 .
- (116) الفن ومذاهبه في الشعر العربي ، ص 404 .
- (117) الأعمال الكاملة لنزار قباني ، ج 1 ، ص 427 .
- (118) انظر : محمد ألتونجي : الباخرزي : حياته وشعره وديوانه ، بيروت : دار صادق ، 1994م ، ص 111 .
- (119) انظر : الباخرزي : حياته وشعره وديوانه ، ص 124 .
- (120) انظر في فلسفة الأمثلة النحوي : المثال النحوي في كتاب سيويو بين الدلالة الاجتماعية والقاعدة النحوية ، حسن الملخ ، مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية ، الإمارات العربية المتحدة ، العدد 20 ، 2001م ، ص 356 - 357 .
- (121) ديوان محمود سامي البارودي ، ص 258 .
- (122) ديوان شرف الدين الأنصاري ، ص 212 .
- (123) ديوان ابن نباتة المصري ، ص 406 .
- (124) الفن ومذاهبه في الشعر العربي ، ص 403 . وانظر : عصر الدول والإمارات - مصر والشام ، ضمن سلسلة في تاريخ الأدب العربي ، القاهرة : دار المعارف ، 1984م ، ص 655 .
- (125) انظر : عصر الدول والإمارات ، ليبيا - تونس - صقلية ، ضمن سلسلته : تاريخ الأدب العربي ، القاهرة : دار المعارف ، 1992م ، ص 233 - 234 .
- (126) جاكوب كورك : اللغة في الأدب الحديث ، ترجمة : ليون يوسف وعزيز عمانوئيل ، بغداد : دار المأمون ، 1989م ، ص 254 .
- (127) ديوان المتنبي بشرح العكبري ، ج 4 ، ص 210 .
- (128) ديوان ابن سناء الملك ، ص 731 .
- (129) انظر تقديم عمر موسى باشا لديوان شرف الدين الأنصاري ص 38 ، والاتجاهات الفنية في الشعر إيان الحروب الصليبية ، مسعد العطوي ، الرياض : مكتبة التوبة ، ط 1 ، 1995م ، ص 480 .
- (130) انظر : بغية الوعاة ، ج 2 ، ص 226 - 227 .
- (131) انظر : الوافي بالوفيات ، ج 5 ، ص 175 - 186 .

- (132) انظر : عبدالرحمن بن محمد الأنباري (ت577هـ / 1181م) نزهة الألباء في طبقات الأدباء ، تحقيق : إبراهيم السامرائي ، الأردن : مكتبة المنار ، ط3 ، 1985م ، ص222 .
- (133) انظر : أحمد أحمد بدوي ، الحياة الأدبية في عصر الحروب الصليبية بمصر والشام ، مصر : دار نهضة مصر ، ط8، 1979م ، ص196 .
- (134) انظر : الحياة الأدبية في عصر الحروب الصليبية ، ص222 .
- (135) الغيث المسجم في شرح لامية العجم ، ج1 ، ص204 .
- (136) ياقوت الحموي (ت626هـ / 1228م) معجم الأدباء ، تحقيق : إحسان عباس ، بيروت : دار الغرب الإسلامي ، ط1 ، 1993م ، ج4 ، ص1682 .
- (137) الوافي بالوفيات ، ج18 ، ص293 .
- (138) انظر : المصدر السابق ، ج3 ، ص288 - 289 .
- (139) الوافي بالوفيات ، ج5 ، ص185 .
- (140) ديوان ابن نباتة المصري ، ص406 . وانظر في ترجمة الزملكاني : معجم المؤلفين ، عمر رضا كحالة ، بيروت : مؤسسة الرسالة ، ط1 ، 1993م ، ص333 .
- (141) انظر : الحياة الأدبية ، ص294 - 295 .
- (142) انظر : مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ، قسم أهل اللغة والنحو والبيان ، ابن فضل الله العمري ، شهاب الدين أحمد (ت749هـ / 1348م) ، تحقيق : عبدالعباس عبدالجاسم ، الإمارات العربية المتحدة : المجمع الثقافي ، ج7 ، ص185 .
- (143) ديوان صفى الدين الحلبي ، ص288 .
- (144) ديوان الشاب الظريف ، ص273 .
- (145) خزانة الأدب ، ج2 ، ص476 .
- (146) انظر : حركة اللغة الشعرية ، ص205 .
- (147) ديوان البهاء زهير ، ص100 .
- (148) انظر : خزانة الأدب ، ج2 ، ص475 .
- (149) انظر : ديوان شرف الدين الأنصاري ، مقدمة المحقق الدكتور عمر موسى باشا ، ص38 . وآفاق الشعر العربي في العصر المملوكي ، ص423 - 424 .
- (150) ديوان صفى الدين الحلبي ، ص558 .
- (151) علي بن أحمد المدني (ت1117هـ / 1705م) ديوان ابن معصوم ، تحقيق : شاكر هادي ، بيروت : عالم الكتب ، ط1 ، 1988م ، ص38 .
- (152) ديوان ابن الوردي ، ص143 .
- (153) ابن نباتة المصري ، ص431 .
- (154) آفاق الشعر العربي في العصر المملوكي ، ص424 .
- (155) ابن نباتة المصري ، ص431 - 432 .
- (156) ديوان ابن الوردي ، ص452 .

- (157) ديوان ابن الوردي ، ص 272 .
- (158) الفن ومذاهبه في الشعر العربي ، ص 404 .
- (159) ابن سنان الخفاجي ، عبدالله بن محمد (ت 466هـ / 1073م) سر الفصاحة ، بيروت : دار الكتب العلمية ، ط 1، 1982م ، ص 166 .
- (160) انظر : سر الفصاحة ، ص 167 .
- (161) انظر : سر الفصاحة ، ص 167 .
- (162) حازم القرطاجني (ت 684هـ / 1285م) منهاج البلغاء وسراج الأدباء ، تحقيق : محمد الحبيب ، بيروت : دار الغرب الإسلامي ، ط 2 ، 1981م ، ص 25 .
- (163) انظر : منهاج البلغاء وسراج الأدباء ، ص 29 - 30 .
- (164) للتوسع انظر : النقد الأدبي في العصر المملوكي ، ص 264 - 267 .
- (165) ديوان صفى الدين الحلبي ، ص 145 - 150 .
- (166) انظر على التوالي :
- التيارات الأدبية ، ص 465 .
- فن الرثاء في الشعر العربي في العصر المملوكي رائد عبدالرحيم ، الأردن : دار الرازي ، ط 1، 2003م ، ص 352 - 355 .
- الفن ومذاهبه في الشعر العربي ، 290 - 405 .
- مطالعات في الشعر المملوكي والعثماني ، ص 321 - 322 .
- (167) آفاق الشعر العربي في العصر المملوكي ، ص 423 .

* * *